

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر-2-

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم التاريخ

العنوان:

**حنبل والحرب البونية الثانية
(218-201 ق.م)**

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا

أ.د: بشي إبراهيم محمد العيد

مشرفا ومقررا

أ.د: أيت عمارة ويزة

عضوا

أ.د: مهنطل جهيدة

إشراف الدكتورة:

إعداد الطالب:

أيت عمارة ويزة

بلعيد حسن

السنة الجامعية: 2012-2013.

المختصرات

م.د.ت	مجلة الدراسات التاريخية
H.A.A.N	Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord
H.N	Histoire Naturel
R.Af	Revue Africaine

المقدمة

أدت الخسارة التي تكبدتها قرطاجة خلال الحرب البونية الأولى إثر فقدانها صقليا ثم سردينيا وكورسيكا إلى إنقسام الرأي داخل قرطاجة حول الصراع ضد روما، إذ كان حانون يشجع التوسع في إفريقيا أكثر من مواجهة روما، أما هاملكار برقة فيرى إعادة غزو شبه الجزيرة الإيبيرية والتوسع فيها يمكن أن يعوض قرطاجة ما خسرتها خلال الحرب البونية الأولى، لذا جمع هاملكار رفاقه وأفراد عائلته و أبحر إلى قادس (جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية) لكن سرعان ما مات سنة 228 ق م.

بعد موت هملكار تولى صهره هسدروبعل قيادة الجيوش القرطاجية في المنطقة، حيث أسس مدينة قرطاجنة سنة 228 ق م أو قرطاجة الجديدة، ثم شرع في الصعود باتجاه نهر الإيبرو أين عقد معاهدة مع روما بإسم هذا النهر، و التي تنص على عدم تجاوز القرطاجيين هذا النهر شمالا، لكن هسدروبعل قتل بدوره على يد أحد الكلت-إيبيريين، فتولي حنبعل قيادة الجيش القرطاجي، هذا الأخير الذي غير من سياسة قرطاجة تجاه روما نظرا للتربية التي تلقاها من أبيه المبنية على العداء الدائم لروما، لذا أخذ يتوسع في شبه الجزيرة الإيبيرية الشيء الذي لم يتقبله مجلس السناتو في روما الذي أعلن الحرب ضد قرطاجة و حنبعل، كونه خلف بنود المعاهدة التي إتفقت عليها روما مع هسدروبعل فبالتالي الدخول في ما يسمى الحرب البونية الثانية.

تتجلى أهمية موضوع بحثنا "حنبعل والحرب البونية الثانية"، في البحث والكشف عن بعض الاستفسارات والتساؤلات، حتى نحاول إثراء القارئ بمعارف التاريخ العسكري لقرطاجة وقائدها حنبعل خلال فترة الحرب البونية الثانية.

ولعل أهم الإشكاليات التي طمح البحث لمناقشتها، وإقتراح بعض الإجابات لها هي:

- فيما تكمن شخصية القائد القرطاجي حنبعل الذي لعب دورا بارزا في تاريخ العالم القديم عامة و في الحوض الغربي للبحر المتوسط خاصة كونه ميدان الأحداث؟

ما هي الدوافع التي كانت وراء عداء هذا القائد لروما؟

ما هي الأسباب المباشرة و الغير المباشرة التي أدت لنشوب الحرب البونية الثانية؟

- ما أهم الأوضاع والمحطات التي شملتها هذه الحرب؟

و إستنادا لما ورد في الدراسات التاريخية القديمة التي تناولت تاريخ قرطاجة والحروب البونية، حاولت تقسيم موضوع بحثي إلى أربعة فصول.

يحتوي الفصل الأول على قرطاجة و حنبعل، و أشرت فيه إلى الأوضاع السياسية و العسكرية التي ميزت قرطاجة بصفة عامة، كَوْن موضوع بحثنا يشمل هذا المجال، حيث أعطيت في المرحلة الأولى لمحة عن الأوضاع الداخلية التي شملت بصفة عامة ثورة الجنود المرتزقة التي أحدثت هلعا في قرطاجة كَوْنها مهددة بالداخل على يد هؤلاء الجنود الذين كانوا تحت أوامر القادة القرطاجيين من قبل.

ثم أشرت في المرحلة الثانية إلى الأوضاع الخارجية بعدما تمكنت قرطاجة من تجاوز عقبة المرتزقة، و تتميز هذه المرحلة بالتوسع القرطاجي في شبه الجزيرة الإيبيرية، وتناولت فيه الدوافع و الأسباب التي أدت إلى ذلك، بعدما ظهر الصراع من جديد حول المناطق التي يمكن أن تعوض ما خسرت قرطاجة في الجزر الإيطالية خلال الحرب البونية الأولى، في ظل تزايد الصراع بين أل برقة و أل حانون على السلطة في قرطاجة، هذا الصراع الذي كان من بين الأسباب التي أجبرت أحد الطرفين على مغادرة قرطاجة و التوجه إلى مناطق أخرى يضمن فيها الطرف المغادر إستمرار سياسته، كما درست فيه أهم القادة الذين تعاقبوا على الحكم في شبه الجزيرة الإيبيرية والدوافع التي كانت وراء قيام الحرب البونية الثانية، و في الأخير أشرت إلى شخصية حنبعل و جيشه.

أما الفصل الثاني أبرزت فيه طبيعة حملة حنبعل على إيطاليا و رد فعل روما بعد ذلك، حيث تطرقت إلى الإستعدادات التي كان يهيأها حنبعل قبل البدء في الحملة و أثناء اجتيازه جبال الألب من أجل الهجوم على روما داخل أراضيها، بعدها درست أهم المعارك التي جرت بين الطرفين و ما ترتب عنها، هذه المعارك التي أثبتت قوة و حنكة حنبعل في إنتصاراته الكاسحة في مختلف المعارك التي خاضها، كما بينت فيه أيضا أهم الأساليب والطرق التي تبناها كلا الطرفين حنبعل و روما، بعد بداية توازن القوى بينهما و إمتناع الرومان عن خوض المعركة تفاديا للأضرار التي قد ستحدث لجيوشهم خاصة بعد معركة

كان، و اللجوء إلى سياسة جديدة قائمة على قطع المؤن و الإمدادات لحنبعل و إجباره على التراجع نحو الجنوب الإيطالي دون حوض معركة حاسمة تضمن له النصر.

في الفصل الثالث أشرت إلى الحرب في شبه الجزيرة الإيبيرية، وإستعرضت فيه الحملة التي وجهتها روما إلى هذه المنطقة منذ أن أعلنت فيه القطيعة مع قرطاجة، حيث رغم تهديد روما و مختلف المناطق الإيطالية وخسارة عدد كبير من الجيوش، إلا أن هذه الحملة ظلت مستمرة، و ما يميز أيضا هذه الحملة هي عدم تغيير قاداتها إلى غاية وفاتهم، ما جعل البعض يرى الأحداث التي تجري في تلك المنطقة متعلقة بأشخاص معينين لهم مسؤولية و مصلحة خاصة، و ما يبرر ذلك هو تعيين القائد كورنيليوس بوبليوس سكيبيون ابن بوبليوس سكيبيون الذي توفي سنة 211ق، لمواصلة الحرب في شبه الجزيرة الإيبيرية، هذا الأخير الذي أبدى قدرته على مواجهة الأخطار والمصاعب والأساليب التي تواجهه به الجيوش القرطاجية في المنطقة، إذ إستطاع القائد الروماني خلق إختلال في توازن القوى و يرجح الكفة لروما التي بدأت في إستعادة القوة بعد السيطرة على عدد كبير من المراكز الإستراتيجية القرطاجية في شبه الجزيرة الإيبيرية، وقطع الإمدادات عن حنبعل الذي كان يعلق أماله على هذه المنطقة و يعتبرها إحتياطا له.

أما الفصل الرابع و الأخير فكان مضمونه الحملة الرومانية على إفريقيا و موت حنبعل، و لقد ركزت فيه على مسار هذه الحملة و الأوضاع التي كانت عليها الممالك النوميديّة عشية هذه الحملة، من خلال التطرق إلى دور هذه الممالك أثناء الحرب وعلاقاتها مع قرطاجة و روما، كوّن الملوك النوميديين ماسينيسا وسفاكس وفرمينيا لعبوا أدوار حاسمة في عدة معارك، ثم أشرت إلى أسباب القطيعة التي حدثت بين قرطاجة و ماسينيسا، وبين روما وسفاكس، و دور الأميرة سوفونيسبة ابنة القائد هسدر بعل بن جسكون في تغيير هذه الأحلاف، وفي الأخير تناولت محاولات حنبعل إصلاح الأوضاع في قرطاجة بعد معركة زاما لكن دون جدوة في ظل السلطة المطلقة التي كانت تمارسها الطبقة الأرستقراطية، ما أجبره على مغادرة قرطاجة كما فعل أبوه هملكار والبحث عن موطن آخر يمكن أن يضمن له الإستمرار في إكمال واجبه تجاه أبيه و الآلهة، بعدما تبين أنه غير

قادر على إصلاح الأوضاع الداخلية في قرطاجة، فبعد الرفض أو التباطؤ في إرسال المساعدات و الإمدادات إلى إيطاليا، ها هو الآن يواجه تحدي آخر و ترسل إليه روما وفد للقبض عليه، و بما أن حنبعل له واجب في حياته لم يكمله بعد، بدى من الضروري مواصلته لكن عدم قدرته على ذلك دفعه للانتحار، ولقد زودت موضوع دراستي ببعض الخرائط و الأشكال التي رأيتها ضرورية و مفيدة لتدعيم مختلف عناصر الموضوع. أما في الخاتمة فتناول فيها مختلف النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

ولقد تطلب إنجاز هذه الدراسة مجموعة من المصادر و المراجع المتنوعة، التي تناولت التاريخ القديم عامة و التاريخ المغاربي خاصة، و يأتي في مقدمة هذه المصادر كتاب المؤرخ الإغريق بوليبيوس (Polybe) الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد، والذي تناول في كتابه التواريخ (Histoire) أهم الأحداث التي شهدتها فترة حياته، خاصة الصراع القرطاجي الروماني و أهم فترات حكم الملك النوميدي ماسينيسا، و ثورة الجنود المرتزقة، و تيتوس ليفيوس (Tite-Live) 59 ق.م، 17م في كتابه التاريخ الروماني (Histoire romaine)، الذي كتب فيه فترات الصراع الروماني القرطاجي ودور الملوك النوميديين والأميرة القرطاجية سوفونيسبة فيه، كما إعتمدنا على المؤرخ ديودور الصقلي (Diodore de Sicile) والمؤرخ أبيانوس (Appien).

وما أريد الإشارة إليه هو أن معظم الأحداث تم أخذها من مصدر واحد، وهو المعتمد عليه في مختلف الدراسات مثل ثورة الجنود المرتزقة التي كتبها المؤرخ بوليبيوس في كتابه التواريخ، هذا ما يجبرني على أخذ هذه الأحداث بحذر، كَوْن بعض المؤرخين لا تلتزمون بالدقة في بعض الأحيان و يتجنبون الموضوعية و التحيز لشعوبهم في الأحيان الأخرى.

أما المراجع فتناولت عدة كتب مثل كتابات المؤرخين الأجانب، أهمها مؤلفات المؤرخ الفرنسي ستيفان قزال (Gsell Stéphane) في كتابه: التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية، (Histoire ancienne de l'Afrique du nord) ثمانية أجزاء، خاصة الجزء الثالث

الذي ركزه على التاريخ العسكري لقرطاجة، إلى جانب فرانسوا دوكري (François Decret) في كتابيه قرطاجة التاريخ و الحضارة (Carthage, histoire et civilisation)، قرطاجة أو إمبراطورية البحر (Carthage ou l'empire de mer)، الذي أعطى لنا دراسة عامة حول قرطاجة وتناول فيه الحروب البونية، و جلبيرت شارل بيكارد (Gilbert-Charles Picard) في كتابه حنبعل، الذي تناول فيه حياة حنبعل منذ ولادته إلى غاية وفاته.

بالإضافة إلى عدد من المؤرخين مثل أندري بيقانيول (André Piganiol): تاريخ الرومان (Histoire romaine)، تيودور مومسن (Théodore Mommsen): التاريخ الروماني (Histoire romaine)، شارل أندري جوليان (Charler André Julien): تاريخ إفريقيا الشمالية (Histoire d'Afrique du nord)، كما ركزت على بعض الدراسات الحديثة مثل: يان لوبواك (Le Bohec Yann): التاريخ العسكري للحروب البونية (Histoire militaire des guerres puniques)، لانسر سرج (Lancel Serge): حنبعل (Hannibal).

وتجدر الإشارة إلى أنه وجهتني خلال فترة إعداد هذه المذكرة مجموعة من الصعوبات، نظرا للجهود التي تتطلبها و تناول فترة زمنية محدودة تسوجب أخذها بحذر، في ظل قلة المصادر التي تطرقت إلى الموضوع، و كذا إختلاف و تضارب المعلومات الواردة من مصدر لأخر خاصة من الجانب العددي.

وبما أن الموضوع لا يشمل ربما على البحث و الدراسة و التحليل الكافي، إلا أنني أتمنى أن أكون قد توصلت على الأقل إلى الإلتزام بالمعايير المنهجية و العلمية التي تتطلبها الجوانب الأساسية، و أنني قدمت مساهمة و لو متواضعة عن الحرب البونية الثانية بين قرطاجة و روما و القائد حنبعل الذي بدأها وأكملها.

الفصل الأول

-أوضاع قرطاجة قبل الحرب

البونية الثانية 241-218 ق.م

-حنبل وجيشه

أوضاع قرطاجة قبل الحرب البونية الثانية 241-218 ق.م:

1-الأوضاع الداخلية: (ثورة المرتزقة 241-238ق).

أ-أسباب الثورة.

ب - مراحل الثورة.

ج - نتائج الثورة.

2-الأوضاع الخارجية :التوسع القرطاجي في إسبانيا 237-218ق.م.

أ- نشاط هملكار برقة في إسبانيا سنة 237ق.م.

ب-هسدر بعل 228ق.م.

ج-معاهدة الإبيرو 226ق.م.

د-حنبل قائدا للجيش القرطاجية في إسبانيا سنة 221ق.م.

هـ- إحتلال ساغوننة سنة 218ق.م.

حنبل وجيشه:

1- شخصية حنبل.

2-جيش حنبل: أ-المشاة.

ب-الفرسان.

ج-الفيلة.

د-البحرية.

أوضاع قرطاجة قبل الحرب البونية الثانية:

من المعروف أن السياسة التي نادى بها حنون الكبير وأنصاره كانت وضع حد للنزاع ضد روما الذي كان ثقلا على خزينة الدولة القرطاجية ، خاصة بعد فشل محاولتهم في الحصول على قرض من الملك المصري بطليموس الثاني فيلادلفوس (Ptolémée II Philadelph) المقدّر بألفين تالنت، بحجة أنه لا يريد أن يكون طرف في الحرب¹، ومن جهة أخرى أجبرت نتائج الحرب البونية الأولى قرطاجة على دفع غرامة مالية تقدر بألف تالانت مباشرة بعد نهاية الحرب و منتين وزنة أوبية، كما تجلي جيوشها من صقلية و الجزر الواقعة بين صقلية و ايطاليا². فبتالي خرجت خاسرة في حربها ضد روما ، لكنها ستنتقل إلى حرب أقل مدة لكنها أكثر شراسة و قساوة³.

1-الأوضاع الداخلية: (ثورة المرتزقة 241-238ق.م):

بعد نهاية مفاوضات الحرب البونية الأولى، قام هملكار برقة (Hamilcar Barca) بنقل الجيوش القرطاجية من إريكس (Eryx) إلى ليلبي (Lilypée)، بعدها ترك جيسكون (Giscon) لقيادتها مع مهمة إجلائها إلى إفريقيا⁴. هذا الأخير الذي كان خائفا مما سيحدث إذا أرسلها دفعة واحدة، لذا قام بتقسيمهم إلى جماعات و إرسالها بالتفاوت، حتى تستطيع قرطاجة دفع مستحققاتهم وإرسالهم إلى وطنهم الأصلي قبل وصول الجماعات الأخرى⁵. لكن نفقات الحرب التي أفرغت الخزينة تقريبا، وبسبب إنعدام الأموال لم يتم تسريح أي جندي⁶.

1 دوكري، ف، قرطاجة الحضارة و التاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام، دمشق، 1994، ص.144.

2 جوليان، ش، أ، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة مزي، م، تونس، 1969، ص.82.

De la Malle, D., 1844, *Esquisse général de l'Afrique, Afrique ancienne, Carthage, Numidie et Mauritanie*, t2, Paris, p.65.

De la Malle, D., 1844, p.65.

Polybe, *Histoire*, I, 2, 65, trad D. Roussel, 1970, Paris.

6 قزال، س. تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة محمد التازي سعود، ج.3، المغرب، 2007، ص.94.

أ-أسباب ثورة المرتزقة:

إن عدم تسريح أي جندي ووصول جماعات المرتزقة الأخرى جعل مدينة قرطاجة تكتض بهم، وبما أن هؤلاء المرتزقة تشبعو بروح الحرب أخذو يرتكبون عدة تجاوزات على سكان قرطاجة ليلا و نهارا، لذلك أصدر مجلس الشيوخ القرطاجي قرارا ينص على نقل كل المرتزقة إلى سيكا(Sicca) في إنتظار وصول زملائهم لدفع كل مستحقاتهم¹. مع حصول كل مرتزق واحد على قطعة ذهب لإقتناء حاجاته الضرورية².

تقبل المرتزقة هذا الإقتراح لكن شرط ترك حاجاتهم وعائلاتهم في قرطاجة، و العودة إليها عند الحصول على مستحقاتهم، لكن رد قرطاجة هو الرفض وذلك خوفا من رفض المرتزقة مغادرة المدينة بعدما يحصلو على مستحقاتهم، و إحداث مشاكل داخلها و هكذا قررت إرحالهم مع كل ما يملكون³.

كانت حياة هؤلاء المرتزقة مضطربة في سيكا، فأخذو يتحدثون بينهم عما يجب القيام به، ويتذكرون وعود قادتهم أيام الحرب⁴. لما وصل جميع المرتزقة إلى سيكا و عددهم عشرين ألف جندي، أرسلت قرطاجة القائد حنون(Hannon) لمحاذتهم، و عوض أن يكلم المرتزقة عن أحوالهم ومستحقاتهم راح يحدثهم عن فداحة الغرامة المالية التي فرضتها روما على قرطاجة بعد الحرب البونية الأولى، لذلك طلب منهم التنازل عن قسم من أموالهم التي وعدتهم قرطاجة من قبل⁵.

إن تجاهل مستحقات هؤلاء المرتزقة أدى إلى حدوث إضطرابات بينهم، بدأت بتجمعهم حسب إنتمائاتهم و ذلك راجع لكونهم لا يتكلمون نفس اللغة، ما صعب التفاهم بينهم و إحداث ضجيج كبير⁶. وحدث هذا الضجيج في معسكر الإبريين(Ibères)، الغاليين (Gaulois)، الليغوريين(Légeures)، أهل البليار(Baléares) وأنصار الإغريق

¹ De la malle,D.,1844,p.65.

² Talbot ,E.,1875 ,*Histoire romaine*,Paris, p.86.

³ Polybe,I,2,66.

⁴ قرال،س،،2007،ص.94.

⁵ قرال،س،،2007،ص.95.

⁶ Polybe,I,2,67.

(Greques). أما حنون الذي كان يخاطبهم فلم يرى من الواجب تكرار نفس الكلام بكل لغات المرتزقة أو بالإعتماد على التراجم، لذلك كلف كل مسؤول على شعبه بين المرتزقة تبليغهم بما يقوله ويقصده¹.

لقد أصبحت الأمور أكثر صعوبة كون المسؤولين عن كل شعب لا يفهمون ما يقوله حنون لهم، لذلك نقلو إلى أصحابهم أقوال مخالفة لما قاله حنون، ما جعل المرتزقة يعتقدون أن قرطاجة فعلتها عمدا، خاصة عدم إرسالها القادة الذين أشرفوا عليهم للتفاوض وقدموا الخدمات تحت أوامرهم في صقلية (Sicile) و أعطو لهم الوعود².

أمام هذه الأوضاع رفض هؤلاء المرتزقة التفاوض مع حنون و في نفس الوقت بدؤو يشككون في قادتهم الذين أهملهم ، لذلك قررو الزحف نحو العاصمة و عسكرو في تونس غلى بعد مئة وعشرين ستاد (Stade)* من قرطاجة³.

عندما رأت قرطاجة ضخامة هذا التمرد الذي أصبح يهددها حاولت تهدئته لذلك قامت بتنظيم أسواق خاصة بهؤلاء المرتزقة لتموينهم بالسلع على أن تكون الأسعار فيها مما يستطيعون دفعها، لكن بعد ذلك طلب المرتزقة بتعويض خيولهم التي قتلت أثناء العمليات الحربية في صقلية، رغم أن هذه الخيول كانت تتلقاها من الدولة. وما زاد الأوضاع سوءا هو إضافة المرتزقة لمطالب جديدة تتمثل في دفع جرايات من القمح بأسعار عالية⁴.

دفعت هذه المطالب الجديدة قرطاجة إلى تعيين قائد آخر للتفاوض مع هؤلاء المرتزقة شرط أن يكون هذا القائد شارك خلال الحرب في صقلية. وبما أن هملاكار مشكوكا فيه كونه إستقال من قيادة الجيش بإرادته ولم يأتي إلى معسكر المرتزقة، فبالتالي أهمل قضيتهم، لذا قرر تعيين القائد جسكون (Giscon) هذا القائد الذي شارك مع هؤلاء المرتزقة في عدة

¹ قزال،س، 2007، ص. 95.

² Polybe, I, 2, 67.

*ستاد:وحدة قياس المسافة قديما وتعني حوالي 180 متر بالتقريب. Dictionnaire Hachette, 2010.

³ Polybe, I, 2, 7.

⁴ دوكري،ف، 1994، ص. 146.

عمليات حربية في صقلية، كما أشرف بعناية على عملية نقلهم إلى إفريقيا لذلك إختاره مجلس الشيوخ القرطاجي حاكما¹.

وصل جسكون الى قرطاجة و أخذ معه المال، وبدأ يتحدث مع الضباط ثم جمع الجنود كل حسب وطنه، و شرع في توزيع رواتبهم المتأخرة². كان يوجد بين المرتزقة عبد من كامبانيا(Companie) يدعى سبانديوس(Spendios)الذي كان عبيدا عند الرومان ،خشي أن يقع في يد سيده و يسلم للعذاب كما يقضي القانون الروماني، لذلك فر منه و ألتحق بالمرتزقة، وكان سبنديوس ذو بنية جسدية قوية و كبيرة ،و شجاعة عجيبة³.

يوجد إلى جانب سبانديوس إفريقي يدعى ماثوس(Mathos) خشي الإقاع به ، فأشترك مع سبانديوس لإعاقه التفاوض، لذلك خاطب رفاقه بأن قرطاجة ستثأر منهم عندما يعود المرتزقة الآخرون إلى وطنهم،هذا ما أثار غضبا شديدا، خاصة بعد طلب الليبيين بجراياتهم من القمح بصيغة إجبارية، فرد عليهم جسكون بأن يطلبوها من قائدهم ،فأغضبهم ذلك وأرتمو على الأموال ثم ألقوا القبض على جسكون و أصحابه. كان ماثوس و سبانديوس مقتنعين بأن هذه الاعمال ستجعل القطيعة مع قرطاجة محتمة، لذلك قامو بمعاملة جسكون و أصحابه معاملة سيئة⁴.

ب- مراحلها ثورة المرتزقة:

أرسل ماثوس عدد من الوفود إلى المدن الإفريقية يطلب منها المساعدة و التحرر من السيطرة القرطاجية، وبالفعل تحصل المرتزقة على ما يريدون⁵، و كونو جبهة موحدة ضد قرطاجة⁶ ويظهر ذلك في ما يذكره بوليبي: "لقد وقف كل السكان الإفريقيين تقريبا إلى جانب المرتزقة وأنضموا إلى الثورة في وجه قرطاجة وساروا إلى تزويد المرتزقة بالمؤونة

¹ De la malle ,D.,1844,p.67.

Gaid,M.,1990.,*Les berbères dans l'histoire,de la préhistoire a la kahina*,T1,Alger,p.69.

² Polybe,I,2,67.

³ Polybe,I,2,67.

⁴ قزال،س.،2007،ص.97.

⁵ De la malle,D.,1844,p.68.

⁶ بوروينة،ش.،1999،*قرطاجة البونية،تاريخ و حضارة*،الإسكندرية،ص.210.

والدعم" ¹ .

لقد إنضم إلى المرتزقة سبعين ألف جندي، وانقسم جيش المرتزقة إلى قسمين حيث حاصر القسم الأول أوتيكا (Utique) أما القسم الثاني حاصر هيبو (Hippone)، هتان المدينتين اللتان بقيتا وفيتان لقرطاجة ². لقد كان القرطاجيون يريدون إصلاح أحوالهم بعد الحرب الطويلة التي كانت نهايتها سيئة، أما الآن فلبد عليهم الدفاع عن وطنهم و الأرياف المجاورة التي يحصلون منها على المنتوجات الزراعية، خاصة عدم وجود أي احتياط من الطعام وكذا أي حليف ³.

المرحلة الأولى :

أمام هذه الأوضاع قررت قرطاجة تعيين حنون الذي جمع بعض المرتزقة و جند المواطنين القادرين على حمل السلاح و كون بينهم فيالق للخيالة دون تضييع الوقت، و جاء لنجدة أوتيكا، وأستقر أمام المدينة حيث هاجم معسكر الأعداء مع عدد من الفيلة التي قتلت العديد من المرتزقة، أما الناجين فلقد لجؤو إلى مكان قريب تكسوه الأشجار ⁴.

لكن حنون الذي تعوّد على محاربة النوميديين والأفارقة المتعودين هم أيضا على الفرار أثناء الخسارة لمدة يومين أو ثلاثة، ظن أنه أنتصر لذلك دخل أوتيكا ليستريح. وبما أن المرتزقة تعودو على حرب الكر والفر مع قائدهم همكار خلال الحرب البونية الأولى، رأو جنود حنون متفرقين حول أوتيكا، لذلك رجعو مباشرة إلى المعركة و قامو بالهجوم عليهم و قتلو العديد منهم، كما أرغمو الجنود القرطاجيين على الفرار بعدما إستولو على جميع المعدات التي أخذها حنون معه ⁵.

¹ Polybe, I, 2, 70. et Gabriel, C., 1961, *Aux origines de la Berbérie, Massinissa ou le début de l'histoire*, Alger, p. 44.

² Ernest, M., 1888, *Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830)*, Paris, p. 23.

³ قزال، س.، 2007، ص. 99.

⁴ Polybe, I, 2, 74.

⁵ Polybe, I, 2, 74.

المرحلة الثانية:

بعد هذا الإخفاق قامت قرطاجة بتعيين القائد هملكار برقة¹. وسلمت له سبعين فيلا و عدة فرق من المشاة و الفرسان والمرتزة الذين انفصلو عن الثائريين فكّون جيش يقدر بحوالي عشرة ألف جندي، لكن المشكل الذي يواجهه هملكار هو عبور نهر مجردة (Bagrada) الذي يبدو عائقا، كونه يملك جسر من صنع الانسان، وإستولى عليه ماثوس وجنوده². كما أن غزارة مياهه تمنع عبوره، لكن هملكار لاحظ أن مصب النهر يمتلئ بالرمال عند هبوب الرياح لذلك إنتظر الفرصة المواتية وغادر قرطاجة ليلا وعند الفجر كان جميع رجاله على الجانب الآخر من النهر³.

لما علم سبانديوس بهذا العبور تقدم بجيش يضم حوالي عشرة آلاف جندي و في نفس الوقت جاء جيش آخر من أوتيكا يضم خمسة عشر ألف رجل لتقديم المساعدة لسبانديوس⁴. قام هملكار بترتيب جنوده حيث جعل الفيلة بمقدمة الجيش يتبعها الفرسان ثم المشاة أصحاب السلاح الخفيف، أما مؤخرة الجيش فجعل فيها أصحاب السلاح الثقيل⁵.

عندما وصل المرتزة أمر هملكار جنوده الموجودين في المقدمة بالتراجع إلى الوراء، ما جعل الأفارقة والمرتزة يضمنون أن خصومهم خائفين، لذلك إتبعوهم دون الحفاظ على نظامهم. لما وصل جنود هملكار المتراجعين إلى المشاة الثقال توقفوا وهاجموا في نفس الوقت المرتزة، ما أحدث الهلع في صفوف المرتزة الذين أخذوا يصطدمون بينهم و تدوسهم الفيلة، ما أدى إلى موت ستة آلاف مرتزق و أسر ألفين⁶. أما الفارين فلقد رجعو إلى المعسكر و إستولى هملكار على جسر مجرادة، وتابع الحملة بدءا في إخضاع المستسلمين والإستيلاء بالقوة على الأماكن المحصنة⁷.

¹ Talbot,E.,1875, p.87.

² Gaid,M.,1990,p.71.

³ قزال،س.،2007،ص.101.

⁴ De la Malle,D.,1844,p71.

⁵ Polybe,I,2,76.

⁶ Polybe,I,2,76.

⁷ قزال،س.،2007،ص.102.

المرحلة الثالثة:

حين كان ماثوس يحاصر هيبو، طلب من سباندیوس و أوتاريت (Autarit) قائد الغاليين (Gaulois) أن يتتبع حركات هملكار دون مهاجمته، نظرا لكثرة عدد فيله فرسانه، لذلك نفذا ما أمرا بهما مع نحو ستة آلاف جندي وألفين من الغاليين إلا أن حاصرا هملكار الذي كان معسكر في السهل الذي تحيط به الجبال¹.

كان بين النوميديين شخص يدعى نارافاس (Naravas) الذي كان لأجداده علاقات طيبة مع قرطاجة، لذلك ذهب إلى هملكار وطلب منه مساعدته، فقبل هملكار العرض كما وعده بإعطائه إبنته إذا بقي وفيا لقرطاجة، وبعد الاتفاق زود نارافاس قرطاجة بألفين فارس².

إنضم سباندیوس إلى الإفريقيين وهاجم هملكار، و بعد معركة شديدة أنتصر هملكار، مما دفع أوتاريت و سباندیوس للفرار، لكن هملكار قتل عشرة آلاف و أسر أربعة آلاف من المرتزقة، كما ترك الحرية لبعض الأسرى الراغبين في العمل معه في الجيش، وأعطى الحرية للآخرين شرط عدم عودتهم للحرب ضد قرطاجة³.

فهم القادة ماثوس وسباندیوس أن هدف هملكار من عمله هذا هو تحطيم نفوذهم، وكذا تهديد ترابط فرقهم⁴. لذلك قرروا تعذيب وقتل جسكون مع سبعة مئة أسيرا، إذ بدؤوا بقطع أيدي جسكون وأيدي الأسرى الآخرين، ثم إستئصال بقية الأطراف من جسمهم وتحطيم أرجلهم ثم إلقائهم أحياء داخل خندق⁵.

أثارت هذه المجزرة سخط كبير في قرطاجة، لذلك طلب مجلس الشيوخ من هملكارو حنون توحيد قواهما للإنتقام، فأمر هملكار بإعدام جميع الأسرى المرتزقة و كذا سحق الأسرى الذين يقبض عليهم لاحقا تحت أقدام الفيلة، لكن إختلاف وجهات النظر بين هذين

¹ قزال،س.، 2007، ص.102.

² Polybe, I, 2, 78.

³ قزال،س.، 2007، ص.103.

⁴ دوكري، ف. قرطاجة أو امبراطورية البحر، ترجمة أحمد عزو عز الدين، الطبعة الأولى، دمشق، 1996، ص.174.

⁵ Ernest, M., 1888, p.23.

القائدين أدت إلى الهزيمة، ما دفع المرتزقة إلى تحقيق التقدم¹. لذلك أعطى مجلس الشيوخ القرطاجي الحرية للجيش في إختيار قائدهم، فوق الإختيار على هملكار الذي بدأ يستولي على المؤن التي تبعت إلى أوتيكا و هيبو اللتان أنضمتا إلى المرتزقة، خاصة و أن سكان هيبو قتلوا خمسمئة رجل قرطاجي بعثو إلى نجدتهم².

بعد وقت قصير تجمع قادة المرتزقة و أختارو زارزاس (Zarzas) لمتابعة هملكار، لكن هذا الأخير خشي الدخول معه في المعركة خوفا من خيالة نارافاس و الفيلة³. أما هملكار فاستولى على عدة مواقع، حتى تمكن من الإحاطة بجيش المرتزقة من كل الجهات، هؤلاء الذين لم يستطيعو حتى الفرار بسبب الخنادق و التحصينات، لقد إضطرت المرتزقة أمام هذه الظروف و نهاية المؤن إلى أكل لحوم السجناء، ثم لحوم العبيد لعدم وصول النجادات المنتظرة من تونس⁴.

دفعت أحوال هؤلاء المرتزقة القادة أوتاريت و سبانديوس و زارزاس للتفاوض مع هملكار، حيث ذهبوا إلى معسكر قرطاجة للتفاوض، فأشترط عليهم هملكار أن يختار القرطاجيون عشرة من بين المرتزقة كرهائن، أما الآخرون فيمكنهم الذهاب بدون سلاح و لا لباس⁵.

قبل قادة المرتزقة شروط التفاوض، فأختار القرطاجيون عشرة أشخاص كرهائن بين المرتزقة، بينهم سبانديوس و أوتاريت. لكن المرتزقة الآخريين الذين تجاهلو ظروف التفاوض و شروط هملكار، سمعوا إلقاء القبض على قادتهم، فظنوا أنهم وقعوا في الخيانة لذلك تسارعوا نحو أسلحتهم⁶. لكن بعد فوات الأوان حيث أحاطت بهم الجيوش القرطاجية وهاجمتهم أين قتل حوالي أربعين ألف مرتزق و سحقهم تحت أقدام الفيلة⁷.

¹ دوكري، ف، 1996، ص. 175.

² Gaid, M., 1990, p. 72.

³ Polybe, I, 2, 84.

⁴ Polybe, I, 2, 84-85.

⁵ Duruy, V., 1855, *Histoire romaine jusqu'à l' invasion des barbares*, paris, p. 118.

⁶ De la Malle, D., 1844, p. 71.

⁷ دوكري، ف، 1994، ص. 50.

بعد هذا النصر إستطاع حنبعل ونارافاس الجول في أنحاء المقاطعة البونية مع خضوع عدد كبير من الليبيين وزحفو في ما بعد إلى تونس لمحاصرة ماثوس وجيشه، فعسكر حنبعل بالجهة الموالية لقرطاجة أما هملكار بالجهة المقابلة وجيء بسبانديوس والسجناء الآخرين و صلبو أمام الأسوار وعلى مرأى رفاقهم¹.

لاحظ ماثوس حنبعل و جيشه يجولون مطمئنين فقام بمهاجمتهم، حيث قتل عدد كبير من جنوده، و أستولى على أمتعتهم و ألقى القبض على حنبعل و أخذه إلى المكان الذي صلب فيه سبانديوس و قام بتعذيبه، وذبح ثلاثين من نبلاء قرطاجة حول جثة سبانديوس². لم يتمكن هملكار من مساعدة حنبعل نظرا لعدم علمه بخروج ماثوس، ضف إلى ذلك بعد المسافة بينه و بين حنبعل، لذلك قرر التوجه إلى مصب مجرادة ولينصب معسكره³.

المرحلة الرابعة:

لقد وحدت قرطاجة كل الجهود لمنع سقوط المدينة في أيدي المرتزقة، لذلك قام مجلس القدماء بإستعادة الصلاحيات وإعادة حنون الكبير، ونظم المجلس مع لجنة تضم ثلاثين عضوا مقابلة بين القائدين حنون وهملكار هذه المقابلة التي إنتهت بالمصالحة و قبول العمل على أساس الإتفاق المشترك بين القائدين⁴.

بعدها إنهزم ماثوس في عدة معارك، قرر هذا الأخير خوض معركة فاصلة ضد القرطاجيين الذين يتمنونه أيضا خوضها، فأستدع كل طرف حلفائه و كذا كل المدن التي كانت فيها حاميات أحد الطرفين⁵. بعدها تم الإستعداد للمعركة الفاصلة ألتقى الطرفين وجها لوجه وأعطيت إشارة إنطلاق المعركة التي سيطر فيها القرطاجيين، أما المرتزقة فلقد قتل معظمهم أثناء المعركة، وأستطاع البعض الفرار و اللجوء إلى المدينة والإستسلام فيما بعد،

¹ قزال،س،،2007، ص.110.

² Polybe,I,2,86, .
³ De la Malle,D.,1844,p. 77.

⁴ Ernest,M.,1888,p,24.

⁵ قزال،س،،2007، ص.111.

أما ماثوس فألقي القبض عليه حياً¹. وسلم إلى القرطاجيين الذين قطعوه إلى أجزاء بعد عذاب أليم².

ج- نتائج ثورة المرتزقة:

لقد أدت نهاية المعركة إلى إستسلام كل إفريقيا ما عدى مدينتي هيبو وأوتيكا اللتان وصلتا المقاومة، لذا قرر حنون وهملكار الزحف كل واحد على مدينة، و إرغمهما على الإستسلام وفق شروط تمليها قرطاجة³. و أنتهت بذلك الحرب التي دامت ثلاثة سنوات وأربعة أشهر مصحوبة بالقساوة تجاوز بكثير كل ما يمكن رؤيته حتى ذلك التاريخ⁴. حيث فقدت قرطاجة عدد كبير من قادتها كجسكون وحنبل و عدد من أعضاء مجلس الشيوخ و النبلاء، كما لاحظنا مقتل قادة المرتزقة الذين قدمو عدة خدمات لقرطاجة خلال الحرب البونية الأولى. ضف إلى ذلك توسع قرطاجة على حساب القبائل الإفريقية التي إنضمت إلى المرتزقة .

بعد نهاية الحرب سنة 237 ق،م دخل المرتزقة الثائرين في صراع بسردينيا ضد الأهالي الذين أُرغموا على الفرار نحو روما، هذه الأخيرة التي هيأت نفسها للإستلاء عليها، و في نفس الوقت هيأت قرطاجة حملة لإسترجاع هذه الجزيرة⁵. لذلك تظاهر الرومان أن هذه الحملة موجهة ضدهم فصوت مجلس السناتو على الحرب ضد قرطاجة⁶. هذه الأخيرة التي أنهكتها حرب المرتزقة، أصبحت غير قادرة على خوض حرب جديدة ضد روما، لذلك تخلت عن هذه الجزيرة، مع دفع غرامة مالية جديدة تقدر بألف و مئتين تالنت (Talent) كضمان لعدم إعلان الحرب⁷. ثم كلف الرومان القنصل تيبريوس سمبرونيوس جراكوس (Tibérius Sempronius Gracchus) بالذهاب إلى سردينيا (Sardaigne) و ضمها

¹ Polybe, I, 2, 87.

² Talbot, E., 1875, p. 88

³ Gaid, M., 1990, p. 74.

⁴ Polybe, I, 2, 88.

⁵ قزال، س، 2007، ص. 114.

⁶ دوكري، ف، 1994، ص. 153.

⁷ Polybe, I, 2, 88.

إلى الممتلكات الرومانية، لكن هذا الأخير سيطر في نفس الوقت على جزيرة كورسيكا (Corse)¹.

2- الأوضاع الخارجية: (التوسع القرطاجي في إسبانيا 237-218 ق.م):

بعد قمع تمرد المرتزقة و إستمرار التوسع الروماني في سردينيا و كورسيكا، إنقسم الرأي العام داخل قرطاجة بين الخصمين المتنافسين، أل حانون وأل برقة حول الصراع ضد روما. إذ يرى حانون أن تشجيع التوسع في إفريقيا أجدى و أكثر نفعا من معادة الرومان، أما هملكار فيرى أن إعادة غزو إسبانيا و التوسع فيها يمكن أن يعوض قرطاجة ما خسرتة خلال الحرب البونية الأولى.

إن فتح إسبانيا سيكون لهملكار ولمن ورث عنه مشروعاته، إستعدادا لصراع جديد ضد روما و إمبراطورية قرطاجة التي يتزعمها أل حانون. إذ يرى هملكار أن الإستيلاء على المناجم الفضية في الهضبة الإيبيرية * يمكن أن توفر له العملة التي كثيرا ما شلت جهوده في حروبه في صقلية². كما أن غزو جنوب إسبانيا التي إستوطنها الفينيقيون تسهل له الأوضاع، لذا شرع في تنفيذ مخططه التوسعي في إسبانيا الذي يشبه على حد تعبير بعض المؤرخين مشروع عائلة أو مشروع أل برقة³.

أ-نشاط هملكار برقة في شبه الجزيرة الإيبيرية 237 ق.م:

بعد قمع المرتزقة في إفريقيا، أبحر هملكار برقة عبر أعمدة هرقل (Héraclès) إلى إسبانيا رفقة أصحابه و ابنه حنبعل الذي بلغ تسعة سنوات⁴. هذا الإبن الذي أخذه هملكار إلى

¹ دوكري، ف، 1994، ص. 153.

² قزال، س، 2007، ص. 115.

³ Lancel, S., 1992, Carthage, France p.395.

⁴ Polybe, II, 1, 1.

مجمع الآلهة لأداء الطقوس الدينية و تقديم الأضاحي، حيث تعهد حنبعل لأبيه أن يكون دائما عدو لروما¹، و بعد ذلك أخذه إلى الجيش مع إثنين من أخويه هسدر بعل (Hasdrubal) و ماقون (Magon)².

بمجرد نزول هملكار في إسبانيا تحارب و تفاوض مع مختلف القبائل الإيبيرية، حتى أخضع العشيرتين الكبيرتين، حيث كانت تسكن إحداهما الواد الكبير وهم التردوليون (Turdétanes) المعروفين باسم: تردولي و تردتاني أو الترتيسيوي، بينما يسكن البستوليون (Bastitani) الضفة الجنوبية للواد الكبير وهم المعروفون أيضا باسم بستولي و بستتاني أو ميستيانيوي³.

إنتهت هذه المرحلة ابتداء من سنة 236 ق.م فشرع هملكار في إستغلال المناجم التي سيطر عليها في إسبانيا وفق قواعد جديدة أخذها من قرطاجة، حيث سك عملة جديدة من الفضة التي عوضت الشقالات التي كانت معه، كما بدأ يوجه شحنات من المعادن الثمينة إلى قرطاجة، التي كانت كافية لإحتياجات قرطاجة في تقويم الأجور ودفع الغرامة المالية الحربية و مساعدة الحركة الصناعية و التجارية⁴.

بعد هذه المرحلة قام هملكار بمهاجمة الديتان (Deitans)، الذين يسكنون بلاد ثرية لكنها جبلية تمتد حتى مصب نهر جوكار (Jucar)، مما تطلب أربعة سنوات لإخضاعها بين 235 و 231 ق.م⁵. أمام كل هذا النجاح يظهر أن هملكار حقق عدة إنتصارات و توسعات، لكنها غير مضمونة ما دام هنالك خطر يهددها من الداخل، لذا أخذ في الإستعداد للتوغل نحو الداخل على الساحل المتوسطي جنوب رأس لاناو (Cap La Nao) أين أنشأ قلعة أليكنت (Alicante) التي كان موقعها يضمن إتصالات هملكار بإفريقيا⁶، كما أنه الموقع

¹ Tite-Live, *Histoire Romaine*, X, 1, trad. D. De Clercq, 2001, Paris

² Mommsen, T., 1865, *Histoire Romaine*, trad. C. A. Alexandre, 1865, t3, Paris, p. 117.

³ Strabon, *Geographie*, III, 2, 7-8. tad, Tardieu, A., 1867, Paris. رقم 1، ص. 17.

⁴ نور الدين، ك.، 2012، سياسة آل برقة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، مذكرة الماجستير، جامعة الجزائر، ص. 58.

⁵ نور الدين، ك.، 2011، ص. 58.

⁶ Combet Fernoux, B., 1960, *Les guerres puniques*, Paris p. 59.

الأفضل ليستعمله نقطة إنطلاق من أجل الإستيلاء على الأقاليم الوسطى و الداخلية في إسبانيا¹.

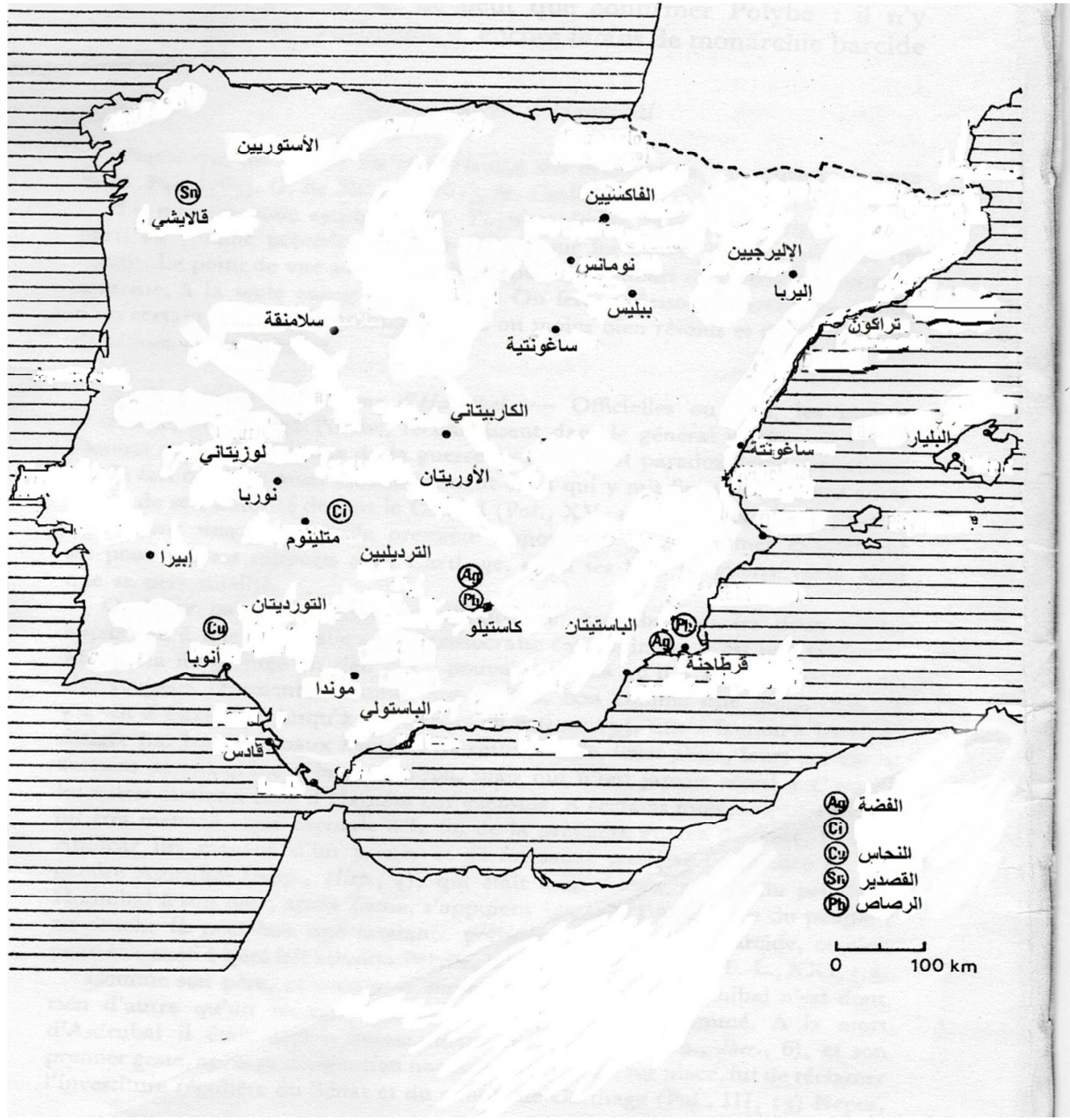
لقد أثارت هذه التوسعات مخاوف ماسيليا خاصة بعد السيطرة على ألوري و حمورسبيوم، لذا فهملكار يمنع مارسيليا من الوصول إلى ثروات جنوب إسبانيا، في نفس الوقت كانت غير قادرة على مواجهة أل برقة، لذلك ذهبت للبحث عن المساعدة في روما². هذه الأخيرة التي أرسلت سنة 231 ق.م بعثة إلى هملكار للوقوف على نواياه التوسعية، لكن البعثة صدقت أقوال و تفسيرات هملكار الذي قال لهم أن الغرض من كل ما يفعله هو الحصول على موارد جديدة حتى تستطيع قرطاجة دفع تعويضات الحرب البونية الأولى³. في شتاء 228-229 ق.م ترك هملكار فيله ومعظم جيوشه في أليكانت، و أتجه هو نحو الداخل أين حاصر مدينة إليس (Hèlice)، لكن ملك من الأوريسييين (Orisse) جاء لإنقاذ هذه المدينة حيث تظاهر بالتفاوض مع هملكار، لكن سرعان ما هاجمه القرطاجيين وألحق به الهزيمة، أين مات هملكار غرقا بعد محاولة عبور النهر⁴.

¹ قزال، س.، 2007، ص.117.

² Combet Fernoux, B., 1960, p.65-66.

³ نصحي، إ.، 2004، تاريخ الرومان من أقدم العصور حتي عام 133 ق.م، مصر، ص.215.

⁴ قزال، س.، 2007، ص.117.



خريطة رقم (1): تبين مناطق تواجد الموارد الطبيعية في شبه الجزيرة الإيبيرية الإيبيرية.

Claude, N., 1991, *Rome et la conquete du monde mediterraneen*, T2, Paris, p.676.

ب- هسدر بعل (Hasdrubal) 228 ق.م:

بعد موت هملكار وصل صهره هسدر بعل على جناح السرعة وعينه الجنود قائدا أعلى¹، نظرا لتعلقهم بالبركيين الشديد و كذا توليه مهمة الجيوش البحرية تحت أوامر هملكار، هذه المهمة التي ساعدته في تعيينه على هذا المنصب، وبعد ذلك صادق مجلس الشيوخ القرطاجي على هذا التعيين².

إن أول عمل قام به هسدر بعل هو الإنتقام لهملكار، لذلك جهز جيشا بلغ عدده خمسين ألف من المشاة وستة آلاف ومئتين من الفرسان³، وقام بحملة ضد القبائل الأورسيين حيث هزمهم، بعد عملية تعذيب و إنتقام لهزيمة وموت هملكار. بعدها إستولى على إثنا عشر مدينة تابعة لهذا القبائل⁴. فأصبح بعد ذلك جميع شعوب إسبانيا الشرقية حتى نهر الإبيرو (Ebere) يعترفون به قائدا عسكريا أعلى، نظرا لمهارته في إستخدام الوسائل السلمية في الإستيلاء على الإسبانيين⁵. هذا ما جعل سيطرته تأخذ نطاق واسع و يحول أعدائه السابقين إلى حلفاء⁶.

لقد دعم هسدر بعل موقف تجاه الإبيريين بأن تزوج ابنة أحد الملوك الإبيريين بعد وفاة زوجته الأولى ابنة هملكار، وكان لهذه الخطوة أثرها البالغ في تقبل الإبيريين للسيادة القرطاجية⁷. بعد هذه العمليات و الإنجازات التي حققها هسدر بعل قام هذه المرة بتأسيس عاصمة له في إسبانيا وأطلق عليها اسم قرطاجنة (Cartagène) أو قرطاجة الجديدة في موقع أكرالوكي باللغة الإغريقية أو أليكنتي الحالية⁸. وتقع بالساحل الجنوبي لإسبانيا، بالقرب من المناجم الغنية جدا بالفضة كما أقام بها هسدر بعل مصانع كبيرة للسفن، وربما

¹ Silius Italicus, *Les guerres puniques*, trad, D, Nisard, S. D, Paris, I.

² قرال، س.، 2007، ص. 117.

³ محمد السيد، ع.ل.، 2005، *التاريخ السياسي للجمهورية الرومانية منذ نشأة روما حتى عام 133 ق م*، ج 1، ص. 342.

⁴ نور الدين، ك.، 2012، ص. 61.

⁵ قرال، س.، 2007، ص. 118.

⁶ Le peyre, G-G, Pellegrin, A., 1942, *Carthage punique, 814-146 avant J-C*, Paris, p. 102.

⁷ الناظوري، ر.، 1981، *تاريخ المغرب الكبير*، بيروت، ص. 257.

⁸ Lancel, S., 1992, p. 398.

دارا لسك العملة وقصرا بديعا الأمر الذي جعل أعدائه في إفريقيا يدعون بأنه يريد أن يصبح ملكاً¹.

أمام إزدياد طموحات و توسعات هسدر بعل في إسبانيا و إنتصار روما على الغاليين سنة 226ق.م وجهت هذه الأخيرة أنظارها نحو شبه الجزيرة الإيبيرية و عقدت مع هسدر بعل معاهدة الإيبرو².

ج-معاهدة الإيبرو 226ق.م:

إن ميل الإيبيريين إلى القرطاجيين، وعدم قدرة روما على تجديد الصراع ضد قرطاجة في شبه الجزيرة الإيبيرية، وخوفها من تحالف الغال مع القرطاجيين³. دفع روما إلى إرسال وفد سنة 226ق.م إلى هسدر بعل بهدف وضع حد للتوسع القرطاجي بإسبانيا وتنص هذه المعاهدة على: منع الجيوش البونية اجتياز نهر الإيبرو (Fleuve d'Ebre) الذي يعد حدا فاصلا بين مناطق النفوذ القرطاجية والرومانية⁴. و تعد هذه المعاهدة كإحتياط من روما حتى تتمكن من محاربة الغاليين الثائرين، الذين أصبحو يهددون مدينة روما لهذا عقد هذه المعاهدة، مع ترك الحرية لمدينة ساغونطة الموجودة في الحد الفاصل بين مناطق روما وقرطاجة⁵.

إذا كان الهدف من هذه المعاهدة هو حماية ساغونطة (Sagonte) فإن هذه المدينة تقع على بعد 130 كلم إلى جنوب نهر الإيبر، مما جعل جيروم كاركوبينو يفترض وجود نهرين

¹ قزال،س، 2007،ص.118.

² الصفدي،ه، 1967 تاريخ الرومان، ج1، بيروت،ص.161.

³ الناظوري،ر، 1981،ص.257.

⁴ Picard,G,H.,1958,La vie quotidienne à carthage au temps d'Hannibal,III siecle avant J-C,

Paris. p.208.

⁵ De la malle,D.,1844, p.78.

يتشابهان في الإسم وهما نهر الإيبرو (Ebre) في الشمال ونهر الجوكار (Jucar) في الجنوب، ويفترض أن هذا النهر الأخير هو الذي فرض كحد فاصل في معاهدة الإيبرو.¹ رغم ذلك إلا أن هسدر بعل عرف كيف يثير الخصوم لروما في شبه الجزيرة الإيبيرية، حيث دعم أندبليس (Andobalès) و إديكون (Edecan) حتى أسسا مملكتيهما في المنطقة، كما تمكن من كسب أنصار داخل مدينة ساغنتوم التي كانت حكومتها موالية لروما.² رغم كل هذه الأعمال إلا أن هسدر بعل لقي حتفه سنة 221 ق.م على يد أحد الكلبيين.³ وبالتالي ترك زمام الأمور لمن يأتي بعده ليكمل مشروع آل برقة في إسبانيا.

د- حنبعل قائدا للجيش القرطاجية في إسبانيا (Hannibal) 221 ق.م:

بمقتل هسدر بعل، قام الجيش بتعيين حنبعل قائدا دون إنتظار رأي مجلس الشيوخ القرطاجي، ولقد تابع حنبعل عملية التوسع حيث قام سنة 221 ق.م بالسيطرة على أراضي الألكاديين و فرض عليهم غرامة مالية، و في سنة 220 ق.م زحف على الفاكسيين الذين يسكنون ضفتي المجرى الأوسط لنهر دورو و إستولى على مدينة سلامنقة⁴، لكن عند عودته وجد مقاومة عنيفة من الألكاديين (Olcades) و سكان سلامنقة لذا إضطر حنبعل إلى الإنسحاب جنوب نهر التاج (Tage)* ، ولما حاول هؤلاء السكان ملاحقته و عبور النهر هاجمهم حنبعل و سحقهم بفيلته و فرسانه⁵، وبلغ عدد القتلى مئة ألف رجل، حسب بوليبي الذي يقول أيضا: أنه لم يجرؤ أحد فيما بعد نهر الإيبرو على النظر إلى حنبعل وجها لوجه بإستثناء الساغنتيين⁶.

¹ نور الدين، ك، 2012، ص. 69.

² نور الدين، ك، 2012، ص. 69.

³ قزال، س، 2007، ص. 118.

⁴ قزال، س، 2007، ص. 119.

* نهر التاج: نهر في الهضبة الإيبيرية طوله 1006 كلم، يمر على طلبطلة ويعبر إلى البرتغال و يصب في حوض

لشبوننة. Gaillard, B., 2009, Dictionnaire hachette, Paris.

⁵ Tite-Live, XXI, 5.

⁶ Polybe, III, 1, 14.

هـ- إحتلال ساغونته(Sagonte) 218ق.م :

تقع مدينة ساغونته* جنوب نهر الإبيرو أي بين هذا النهر و مدينة قرطاجنة، و إذا كانت هذه المدينة حليفة لروما بناء على ما تشير إليه النصوص التاريخية، إلا أننا لا ندري متى أقيم هذا التحالف خاصة ومن المعروف أن روما بعثت سفارتين إلى روما إحداهما سنة 231ق.م¹، وهدفها الوقوف على نوايا هملكار، لكن هذه البعثة صدقت تفسيرات هملكار بأنه لم يكن له هدف آخر سوى الحصول على موارد جديدة حتى تستطيع قرطاجة دفع التعويضات والغرامات التي فرضتها عليها روما. أما الثانية فكانت سنة 226 ق.م أرسلها مجلس السناتو إلى هسدربل، خليفة هملكار وعقدت معه معاهدة منعت عليه تخطي نهر الإبيرو شمالا و لكنها سمحت له بالتوسع في المناطق الجنوبية لهذا النهر².

إنقسم سكان مدينة ساغونته إلى فئتين، فئة موالية لروما وأخرى لقرطاجة ، وكان الإتفاق بين هسدربل و بعثة مجلس الشيوخ قد جعلت نهر الإبيرو الحد الفاصل بين مناطق نفوذهم، فبالتالي قرطاجة لها الحق في السيطرة على ساغنتوم بما أنها تقع جنوب هذا النهر و في منطقة نفوذها³.

أخذ الخلاف يحتدم بين فئتي السكان داخل مدينة ساغونته، مما دفع روما للتدخل في السياسة الداخلية وساعدت في إسناد الحكم في ساغونته إلى فئة مناهضة لقرطاجة⁴. وأخذو يلحقون الأذى بأنصارها، هذا ما دفع حنبعل يتدخل و يأمرهم حلفاء روما بالتوقف عن ما يفعلونه لحلفاءه داخل هذه المدينة، لكن رفضهم ذلك دفع حنبعل إلى حصار هذه المدينة في أواخر عام 219 ق.م⁵.

* مدينة ساغونته: تعرف اليوم بإسم مورفيدو شمال نهر سكرو و جنوب نهر الإبيرو. أنظر: العسلي، ب.، 1980، حنبعل القرطاجي، 247-183ق.م، بيروت، ص. 62.

¹ نور الدين، ك.، 2012، ص. 72.

² نصحي، إ.، 2004، ص. 215.

³ العسلي، ب.، 1980، ص. 62.

⁴ نصحي، إ.، 2004، ص. 216.

⁵ العسلي، ب.، 1980، ص. 63.

كانت ساغونته ترسل إلى روما سفراء لكسب ودهم وإخبارهم بالتوسعات القرطاجية في إسبانيا، لكن روما التي لم ترد على بعثاتهم من قبل، لكن أرسلت هذه المرة وفدا للتحقيق فيما يحدث، في نفس الوقت الذي أخذ حنبعل يستعيد لأخذ معسكره الشتوي في قرطاجنة التي تعتبر عاصمة له في إسبانيا¹. ولقد اختلف المؤرخون حول مكان إستقبال حنبعل للوفد الروماني، إذ يرى تيت ليف أن حنبعل لم يستقبل الوفد²، عكس بوليبي الذي يرى أن حنبعل وجد الوفد في قرطاجنة و إستمع إلى مطالبهم ،هؤلاء الذين نبهه بعدم الإستيلاء على ساغنتوم، التي وضعت تحت الحماية الرومانية وفقا للإتفاق الذي أقامه مع هسدر بعل³. لكن حنبعل رد عليهم بالعنف بأنه سوف ينتقم لأنصاره الذين وقع عليهم الظلم داخل المدينة⁴.

مهما يكن فإن روما ليست على صواب لأن معاهدة الإبيرو لم تذكر ساغنتوم كحليفة لها، نظرا لوجودها جنوب نهر الإبيرو، وما دام أن هسدر بعل تعهد بعدم تجاوز هذا النهر شمالا فهذا يعني السماح له بالتوسع جنوبا، لذلك كان لحنبعل الحق في الإستيلاء عليها، حيث أقام حولها حصارا دام ثمانية أشهر قبل الإستيلاء عليها نظرا لوقوعها على مرتفع وعر من جهة وأسوارها المتينة من جهة أخرى⁵.

كان لسقوط ساغنتوم أثر كبير في روما، حيث إنقسم مجلس الشيوخ إلى قسمين، القسم الأول بزعامة الإمليين (Aimillies) و السكيبونيين (Scipions) الذين كانوا يدعون إلى إعلان الحرب مباشرة، أما القسم الثاني بزعامة فابيوس ماكسيموس (Fabius Maximus) وكانو يدعو إلى إنتهاج السياسة السلمية بإرسال بعثة إلى قرطاجنة⁶. و هذا ما كان بالفعل حيث أرسلت روما سفارة إلى قرطاجنة تضم خمسة أعضاء وهم: فابيوس كوينتوس (Fabius Quintus) ، ماركوس ليفيوس (Marcus Livius)، لوكيوس إملئوس (Lucius Aemilius) ، كايوس لسينيوس (Caius Lacinius)، كوينتوس بابيوس

¹. Polybe, III, 1, 15.

². Tite-Live, XXI, 9.

³. Polybe, III, 1, 15.

⁴ قزال، س.، 2007، ص. 121.

⁵ الصفي، ه.، 1967، ص. 161. نور الدين، ك.، 2201، ص. 76.

⁶. Combet Féroux, B., 1960, p. 71.

(Quintus Baebius)، وكان هدف هذه البعثة معرفة إن كان حنبعل إحتل هذه مدينة ساغنتوم بإسم قرطاجة¹.

بعد وصول الوفد إلى قرطاجة سنة 218 ق.م، طلب أعضاءه من مجلس الشيوخ القرطاجي معاقبة حنبعل لمخالفته إتفاقيتي 241 و 226 ق.م، لكن مجلس الشيوخ رفض طلب روما²، لأن إسم مدينة ساغونتة غير وارد في إتفاق 241 ق.م كحليفة لروما³. كما أن هذه المدينة تقع على بعد مئة ميل جنوب نهر الإيبيرو لهذا فليس من حق روما التدخل في هذا النزاع⁴. لكن هذا لم يمنع من وقوع خلاف داخل مجلس الشيوخ القرطاجيين بين مؤيد ومعارض لمطالب روما و يظهر ذلك في خطاب حنون: "أي رجل يرغب في الحكم، هناك طريق واحد يمكن أن يوصله إلى ذلك، وهو زرع حرب فوق حرب و العيش دائما محاصرا بالسلاح و الجيوش. لقد جاءكم وفد لطلب الرضا حسب المعاهدة، ولا يدين كل الأمة بل يطالب برجل واحد، إذن رأيي هو إرسال وفد إلى روما لإرضاء مجلس السناتو، ووفد آخر إلى حنبعل ليطلب منه تسليم نفسه لروما، ووفد ثالث يكلف بإرجاع كل ما أخذه حنبعل للساغنتوميين"⁵.

رغم معارضة حانون لكل أعمال حنبعل إلا أن مجلس الشيوخ القرطاجي لم يوافق على رأيه وعلى مطالب السفارة الرومانية، لذلك قام كوينتوس فابيوس وهو أكبر أعضاء السفارة الرومانية سنا، فأمسك بثوبه وقال: لقد جأتكم بالسلم والحرب، فأختاروا ما يجب أن أتركه لكم. وأجابه رئيس مجلس الشيوخ القرطاجي: اختر أنت فأعلن فابيوس أنه يترك الحرب، فصاح كل أعضاء مجلس الشيوخ القرطاجي أنهم يقبلون أيضا الحرب⁶.

كل هذه الأوضاع دفعت قرطاجة إلى تجديد الصراع مع روما بعدما توفرت لديها الظروف اللازمة، و إتخذت من مسألة ساغنتوم السبب المباشر في قيام الحرب البونية

¹ Tite-Live, XXI, 18.

² العسلي، ب.، 1980، ص. 63.

³ Combet Féroux, B., 1960, p. 72.

⁴ العسلي، ب.، 1980، ص. 63.

⁵ Tite-Live, XXI, 10.

⁶ Florus., *Abrégé de l'Histoire romaine*, II, 6, trad, Julle, pierrot, Paris, 1865.

الثانية، رغم أنه في الحقيقة هنالك أسباب أخرى تتمثل: أولاً في حقد هملكار برقة على روما منذ أن أرغمته على تسليم صقلية، لذلك كرس بقية حياته للإنتقام منها وأورث هذا الحقد لمن جاؤو بعده، ثانياً غضب قرطاجة على روما لسطوها على سردينيا وكورسيكا ثم فرض غرامة مالية أخرى عليها وتهديدها بالحرب، ثالثاً النجاح الذي حققه آل برقة في إسبانيا¹.

حنبل و جيشه:

1- شخصية حنبل:

حنبل قائد قرطاجي وابن هملكار برقة (أنظر الشكل رقم 1 ص.)، يعني أنه ينتمي إلى أسرة آل برقة التي لعبت دوراً بارزاً في الصراع ضد روما، أما حنبل فيعني "حنى-بعل" أي معبود الإله بعل، ويشبه إلى حد كبير الإسم "عبد الله" في وقتنا الحالي الذي يعني معبود الإله². لم يتعدى حنبل تسعة سنوات عندما أخذه والده إلى إسبانيا، هذا الأخير الذي زرع في ابنه الكراهية والحقد ضد روما، ويظهر ذلك عندما كان هملكار يقدم القرابين للآلهة قبل التوجه إلى إسبانيا، أخذ معه حنبل إلى المعبد بعدما توّسل إليه ليرافقه في حملته، فقبل هملكار بذلك لكن بعد تقديم القرابين أمر ابنه بالإقتراب إليه، ثم أمسكه ياليدته ووضعها على الضحية فأقسم حنبل لأبيه أنه سوف يظل عدواً لروما طوال حياته³.

بعدها رافق حنبل والده إلى إسبانيا التي تعرف فيها أساليب القتال إلى جانب أبيه، ولقد تزوج بابنة أحد الملوك الإبيريين تدعى "أمليسا" وربما كان هذا الزواج ذات طابع سياسي⁴.

ويذكر تيت ليف أن حنبل يشبه إلى حد كبير والده هملكار، لاسيما في صفات وجهه، ونظراته الحادة، وشجاعته في مواجهة المخاطر، إذ لا يمكن للتعب أن يؤثر على جسده ولا على نفسه، يقاوم البرودة والحرارة، ويأكل ما توفره له الطبيعة، يستريح وينام عندما تتاح

¹ نصحي، إ.، 2004، ص. 217.

² Picard, G-C., 1967, *Hannibal*, France, France, p.13-14.

³ Polybe, III, 1, 11.

⁴ محمد الله، أ.، ص. 1987، *علام الحرب (حنبل)*، بيروت، ص. 360.

له الفرصة ويكون غير مشغول، ضف إلى ذلك لباسه الذي يشبه لباس كل جنوده، إلى درجة أننا لا يمكننا التمييز بينه وبين الجنود الآخرين إلا بخيله وأسلحته، كما أنه من أحسن جندي بين الفرسان والمشاة كونه الأول الذي يتجه إلى ميدان المعركة والأخير الذي يتركها، كل هذه الصفات مهدت له الطريق ليصبح قائد أعلى للجيش بعد مقتل هسدر بعل.¹

ويقول أيضا ديودور مومسن أن حنبعل له ميزات خاصة به، حيث يدرس عادات عدوه قبل المعركة وله جواسيس يرسله حتى روما ليزودنه بمعلومات ومشاريع الرومان، كما يتميز بصفات رجل دولة ويظهر ذلك في تأثيره على مجلس الشيوخ في قرطاجة كما اثر في سياسة ملوك الشرق، هذا ما جعل جنوده يساندونه في مشاريعه رغم الخسارة التي يتلقاها في بعض الأحيان.²

بالإضافة إلى كل هذا نلاحظ أن حنبعل خفيف الحركة، قويا وجريئا، قادرا على تحمل المشقات، ولقد خلق ليعيش حياة عسكرية يمكن أن يُتخذ قدوة لجميع رفاقه، بفضل تشدده في النظام وعبقريته كما درس إستراتيجية الإغريق في المعارك على يد أبيه وصهره هسدر بعل، وأضاف إلى هذه الدراسة الكمائن والخداع والسرعة والتنظيم. كما كان أيضا سياسيا ماهرا تمكن من قيادة جيش مختلط الاجناس في عدة معارك حاسمة.³ ولقد أحدث رعبا في إيطاليا، أجبر من خلالها مجلس السناتو الروماني على إحداث عدة تغييرات في سياسته، كما تمكن من التأثير في مجلس الشيوخ بعد عودته، وربما كل هذا يدل على عبقرية و قوة شخصيته خاصة و أن أنصاره لم يتخلو عنه في فترات غيابه.⁴

ولقد ترجم حنبعل كل هذه الصفات و المميزات خلال معاركه، إستطاع بفضلها حسم الصراع في يوم واحد سواء بالمباغثة أو بالتركيز على القدرات الهجومية التي ركزها على الفرسان الذين يلعبون دورا أساسيا خلال المعارك، ويظهر ذلك في معركة ترازيمن وكان. كما طبق مبدأ قيادة الجيوش لوحده وأصبح مبدأ ثابتا أثناء الحرب، وتظهر أهمية هذا المبدأ في تحديد المسؤولية خلال مرحلة الإعداد للحرب وأثناء إدارتها، وتأثير المبدأ ذاته في

¹ Tite-Live, XXI, 4, 5-8.

² Mommsen, T., 1865, p. 125.

³ Gsell, S., 1921, *Histoire ancienne de l'Afrique du nord*, T3, Paris, p. 146-147.

⁴ Justin, *Histoire universelle*, XXXII, 4, 3.

سياسة روما حيث تركت ديمقراطيتها و أرجعت النظام الديكتاتوري بقيادة فابيوس. ولقد ظل المسؤول الأول عن عقد الإتفاقيات العسكرية، حشد الجيوش، إستدعاء القوات الإحتياطية، إدارة الحرب وتأمين متطلبات الجنود ولعل ما يدعم هذا النجاح هو عدم ظهور اي تمرد أو شكوى داخل صفوف الجيش¹.

هذا ما جعل العديد من المؤرخين يسمون الحرب البونية الثانية بحرب حنبعل كونه قادها لوحده، وأصبح بعدها روح لها². مبرهنا على ذلك من خلال إحتلال ساغنتوم و تدميرها ثم فتح جبهة أخرى للقتال حيث عبر جبال الألب³، توجه نحو إيطاليا أين هزم بوبليوس سكيبيون في معركة تيسن و سمبرونيوس لونقوس في تريبي، فلامنيوس في ترازيمن و باول إميلي و فارون في كان. ورغم فتح المجال أمامه للتوجه نحو روما لكنه تراجع إلى كامبانيا مما جعل مهمته للسيطرة على روما صعبة بعد عرقلته من فابيوس (Fabius) و فاليريوس فلاكوس (Fallirius Flacus)⁴.

ما دام حنبعل موجود في إيطاليا لا أحد من الرومان يستطيع مواجهته في ميدان المعركة، خاصة بعد معركة كان (canne)⁵. لكن عدم تحقيقه لأي معركة حاسمة بعد هذه المعركة دفعه للتراجع نحو الجنوب الإيطالي، وأمام هذا الإخفاق أستدعي إلى إفريقيا للدفاع عن قرطاجة بعدما نقل سكيبيون الحرب إلى هذه المنطقة لكن الهزيمة في معركة زاما أجبرته على المغادرة و التوجه إلى نحو سوريا ثم بثينا (Bithynie) لكن متابعته من طرف الرومان دفعته للإنتحار بالسّم، ولقد دفن في ليبيسا (Libyssa) حيث كتب على قبره "هنا يستريح حنبعل"⁶.

¹ العسلي، ب.، 1980، ص. 121-124.

² Gsell, S., 1921, p. 143.

³ Corneilius Népos, *Vie des grands capitaines*, XXIII, 3, trad, Dubochet, Paris, 1850.

⁴ Sextus Aurelius, V., *Homme illustres de la ville de rome*, XLII, trad, N, A, Dubois, Paris, 1846.

⁵ Corneilius Népos, 1850, 23, 4.

⁶ Sextus Aurelius, V., XLII.

2-جيش حنبعل:

كانت لقرطاجة جيوش قليلة في ممتلكاتها بإفريقيا التي كان هدفها الحفاظ على الأمن والدفاع عن أي هجوم قد يحدث على قرطاجة، خاصة وأنها تقوم بتسيير عدد كبير من الجنود بعد نهاية الحرب مباشرة، لكن ومع ظهور الصراع ضد روما أصبحت قرطاجة تحشد جيوش كبيرة كون هذه الحرب طويلة وباهضة خاصة الحرب البونية الثانية التي ظلت فيها الجيوش القرطاجية عامة وجيش حنبعل خاصة دائم، يعني خوض المعارك وتجنيد عناصر جديدة في نفس الوقت، ومن هنا نحاول إعطاء فكرة عن الجيش الذي ظل إلى جانب حنبعل طوال الحرب التي خاضها ضد الرومان.

أ-المشاة

ظلت قرطاجة تعتمد على قوتها البشرية المتاحة في الجيش حتى القرن 6 ق.م، غير أنها منذ ذلك الوقت بدأت في إستخدام قوات المرتزقة على نطاق واسع من طرف القائد ماقون، و بقيت هذه الجيوش معتمدة عليها حتى نهاية تاريخ قرطاجة حيث إستخدم القرطاجيون الليبيون بأعداد كبيرة بعد التوسع على حسابهم في شمال إفريقيا، هؤلاء الذين مارسو عدة أدوار داخل الجيش كمشاة وفرسان، ضف إلى ذلك مرتزقة إسبان، غاليين، وإيطاليين، إغريق عملو في أوقات مختلفة وطبقا لظروف متباينة، وربما لولا هذه القوة لما كانت قرطاجة قادرة على تحمل الحرب الطويلة التي خاضتها بالإعتماد على عدد سكانها المحدود¹.

إن الإعتماد على هذه الجيوش لا يمكن أن تؤدي دائما إلا نتائج في صالح قرطاجة، كون هؤلاء المرتزقة لا يحسون بالولاء نحو الوطن الذي يدافعون عنه لعدم ترابطهم، لذلك يستطيعون تغيير ميزان القوة بشكل سريع من خلال الإنقلاب ضد مجندهم، و يظهر ذلك في ثورة المرتزقة 241-238 ق.م و ما أحدثته من دمار وخراب في قرطاجة، جعلت المؤرخ بوليبي يصفها بحرب شرسة أو حرب وحشية، كونها قائمة على مبدأ إنهاء الحرب بإبادة أحد الطرفين المتنازعين².

¹مهران، م، ب، 1990، المغرب القديم، مصر، ص. 200.

²Polybe, I, 2, 25.

رغم الظروف التي مرت عليها قرطاجة إلا أن حنبعل وصل إعماده على المرتزقة حسب ظروف المعركة التي يخوضها، هؤلاء يحملون سلاحا ثقيلًا أو سيف أو رمح أو مقاليع¹، وما يفسر هذا هو تقلص عدد جيش حنبعل عند عبوره جبال الألب، لكن رغم ذلك استطاع إعادة قواه وتجديد عدد كبير من المرتزقة في المناطق التي يمر بها مثل بلاد الغال، كما جند الإسبان، الأفارقة، البليار، سردينيا، كورسيكا، اللغوريين وحتى من الإغريق، استطاع بعدها تنظيم هؤلاء وفقا لقوميتهم، حيث يتولى أمرهم قادة من بني جنسهم دربو على التدريب العسكري اللازم بقيادة ضباط ورؤساء قرطاجيين، فإذا ما بدا لنا جيش حنبعل أنه من أهم وأكفأ الجيوش في التاريخ القديم فذلك يعود في الأصل إلى عبقرية هذا القائد².

كان هؤلاء المرتزقة يجندون من بداية الحرب إلى نهايتها مقابل رواتب مالية مختلفة وجرايات من القمح، هذه الرواتب التي تختلف من مرتزق لآخر حسب جنسهم، حيث أن الإغريق والكمبانيين هم الذين يتقاضون أعلى رواتب من الليبيين والليغوريين³، ولا ندري ما هو الدافع وراء ذلك، كما يرى بعض المؤرخين أن إزدياد ترابط هؤلاء المرتزقة بحنبعل هو أن هذا الأخير وعد هؤلاء المرتزقة بحق المواطنة القرطاجية، ما يعني التمتع بالحقوق السياسية والإقتصادية، هذه الوعود التي كانت حافزا مساعدا على الترابط والتماسك بينهم وخدمة مصلحة قرطاجة⁴. وما يبرهن على ذلك هو ظهور الجنود الليبيين بين جيوش حنبعل رغم ما خلفته ثورة المرتزقة⁵.

¹ مادلين هورس، م. تاريخ قرطاج، ترجمة، بالش، إ. ط1، بيروت، 1981، ص. 70.

² إيمار، أ. روما وإمبراطوريتها، ترجمة، داغر، ف. وأبوريجان، ف.، لبنان، 1997، ص. 45.

³ Ait Amara, O., 2009, p. 18.

⁴ ثابت، أ.، 23-8-2008، جمهورية قرطاج أولا، العرب الأسبوعي، ص. 10.

⁵ عبد الفتاح حجازي، ع. أ.، 2007، روما وإفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية إلى عصر الإمبراطور أغسطس، مصر، ص. 41.

ب-الفرسان:

لقد ساهمت الخيول بنصيب مهم خلال الحروب القرطاجية خصوصا في عهد البركيين، لا سيما في عهد حنبعل الذي ركزا عليها بشكل مهم، حيث مثلت ربع الجيوش القرطاجية التي دخلت إيطاليا، وأكثر من الربع في معركة تريبّي، وكان الفرسان النوميديين يركبون الخيل دون سرج في الهواء الطلق ويتحملون العطش والمقاومة، ما جعل حنبعل يركزها على الجناحين كونهم يمارسون عدة مهام بالهجوم على والتراجع بسرعة فائقة¹.

أما فيما يخص مناطق تجنيد هؤلاء الفرسان فيتم عموما في نوميديا، لكن بعد التوسع في إسبانيا أصبح الإيبيريين أيضا يشكلون العنصر الأهم بين الفرسان، وأمام إزدياد قوة هؤلاء الفرسان و دورهم الحاسم خلال المعارك، أخذ حنبعل يركز عليهم في جيوشه و يعتبرها القوة الحاسمة². كما أن حنبعل إستعملهم كأداة إستطلاع، وذلك راجع إلى السرعة و السهولة التي يتميزون بها، كما يهاجمون ويتراجعون، يفرون ويتراجعون في الوقت الذي يجرون الجيوش الرومانية إلى ميدان المعركة التي يريدونها حنبعل³. وكان القرطاجيون يملكون إصطبلات في إفريقية مليئة بالحيول التي يتحصلون عليها عامة من النوميديين الذين يملكون هذا الحيوان بأعداد كثيرة⁴.

بفضل هؤلاء الفرسان تمكن حنبعل من قهر روما على أراضيها لكن مع تراجع قواه، وعدم تحقيقه لأي تقدم أو معركة حاسمة جعله مهمته صعبة، ما دفع سكيبيون إلى تنفيذ نفس خطة حنبعل بالتركيز على الفرسان الذين أتى بهم ماسينيوسا، هذا الأخير الذين مكنى سكيبيون من هزيمة حنبعل أثناء معركة زاما، والفضل في ذلك راجع إلى الفرسان النوميديين⁵.

¹قزال،س.،2007،ص.293.

²Ait amara,O.,2009,p.25-26.

³Polybe,I,19,2.

⁴Diodore de sicile,XX,8,4.Bibliothèque universelle,trad,Hoefer,F,2éd,Paris,1865.

⁵Gsell,S.,1918,p.403.

ج-الفيلة:

كان أول ظهور لهذه الحيوان في موريطانيا، ثم أتخذت كأداة ووسيلة للحرب مثل الدبابات رغم صغر قامتها مقارنة بالفيلة الهندية إلا أنها أدخلت الرعب في قلوب الجيوش الرومانية. وتكمن أهمية هذه الفيلة في إدخالها بين شروط الصلح بين قرطاجة و روما بعد معركة زاما التي منعت فيها قرطاجة من إقتناء هذا الحيوان¹. ولقد إستعانى حنبعل بالفيلة أثناء حملته على إيطاليا حيث يذكر بلين أن حنبعل عرض على أحد الأسرى الرومان مواجهة فيل مقابل تسريحه إن تمكن من هزمه، وبالفعل تمكن الأسير من قتل الفيل، بعد الضجيج الذي أحدثه الأسير والمؤثر كثيرا في الفيل².

كان هذا الحيوان ذو أهمية بالغة خلال المعركة إذ يحتل المركز الثاني بعد الخيالة، ويظهر ذلك في مختلف الحروب، إذ أشركت قرطاجة مئة وأربعين فيلا خلال الحرب البونية الأولى، ومئة وسبعين أثناء ثورة المرتزقة، مئتين في التوسع في إسبانيا، مئة وأربعين خلا الحرب البونية الثانية وثمانين في معركة زاما، وتدل هذه الأعداد على الأهمية التي كان يحتلها خلال تلك الفترة وحاجة القادة العسكريين لهذا الحيوان، ويتم تدريب الفيلة بعد صيدها حتى تستخدم في المعركة³، إذ تحمل قطع درع واقية على أطرافها ورأسها من أجل الوقاية، كما تصطف دائما على شكل خط مستقيما يحدث هلعا في صفوف العدو⁴، ويذكر ستيفان قزال أنه عندما غادر حنبعل إسبانيا أخذ معه سبعة وثلاثين فيل وترك واحد وعشرين لأخيه ماقون، وبعد معركة كان(canne) أرسلت قرطاجة أربعين فيلا آخر، كما هنالك إثنتين وثلاثين فيلا قتلوا خلال معركة إلبيا، أما أثناء معركة زاما فلقد أشرك حنبعل ثمانين فيلا، ومن خلال هذه الأعداد نلاحظ الدور البارز لهذا الحيوان خلال الحرب⁵.

رغم كل هذه الأهمية التي يلعبها الفيل في الجيش القرطاجي عامة وجيش حنبعل خاصة إلا أن ذلك لم يمنع من إحداث خسائر وأضرار في صفوف مرابيه، بفضل ضجيج الأبواق

¹ Pline Ancien, *Histoire naturel*, I, 1, trad, littrenE, Paris, 1865.

² Pline Ancien, VII, 1.

³ Ait Amara, O., 2009, p.28.

⁴ قزال، 2007، ص. 297.

⁵ Gsell, S., 1918, p.406.

و الرماح التي يطلقها الرومان، ويظهر ذلك في معركة زاما التي إستفد فيها سكيبيون من الفيلة القرطاجية أكثر من حنبعل¹.

د-البحرية:

كان الأسطول القرطاجي عامة يتألف سنة 356ق.م من 350 سفينة كانت لها من الطاقة ما يتسع ل150 ألف محارب². وبما أن قرطاجة معروفة بالتجارة فبتالي لها من الأسطول ما يأمين لها هذه المهنة، لكن مع ظهور الصراع في البحر ضد روما أصبح الأسطول القرطاجي يلعب دورين إقتصادي وعسكري خاصة بعد الهزيمة التي تعرضت لها قرطاجة خلال الحرب البونية الأولى التي كانت صراعا بحريا، لذلك خلال بداية الحرب البونية الثانية كانت في قرطاجة أقل من 150 سفينة خماسية، وإذا كانت لأغراض إقتصادية بالدرجة الأولى إلا أن حنبعل رأى ضرورة تدعيم جيشه بجيوش بحرية حتى يتمكن من هزم روما³.

أما عن مصانع هذه السفن فليس لدينا معلومات دقيقة، غير أن هنالك ورشات ضخمة داخل المرفأ يحميها سور، يشتغل فيها أفضل العمال والحرفيين في تلك الفترة، تختلف المراكب الخاصة بالحرب غيرها من حيث هيأتها إذ تكون مرتفعة في الخلف بينما تنخفض في الخلف، كما تحمل المؤن وتسير بواسطة صفين أو ثلاثة من المجذفين ولقد ورثت قرطاجة هذه البحرية عن صور التي أعطت لها الشهرة في العصور القديمة ويعود الفضل أيضا في ذلك إلى بحارتها الذين يعرفون البوصلة آنذاك⁴.

ولم يقتصر القرطاجيون على نوع واحد من السفن الحربية، بل هناك عدة أنواع تطورت حسب الزمن وتقنيات الصناعة من بينها: سفن ثلاثية، سفن رباعية، سفن خماسية، وسميت

¹ Tite-Live,XXX,33,12-13.

² إيمار،أ،1997،ص.43.

³ Ait Amara,O.,2009 ,p.30.

⁴ مادلين هورس،م،1981،ص.72-73.

بهذه الأسماء نسبة لعدد صفوف المجاذيف التي تحتوي عليها¹. وعلى العموم فإن قرطاجة فقدت أسطولها الحربي بعد معركة هميرا، وأصبحت تتعثر حتي الحروب البونية التي قضت فيها روما على سيادة قرطاجة البحرية في الحوض الغربي للمتوسط².

من خلال ما سبق نلاحظ ان حنبعل أدرك المسؤولية الملقاة على عاتقه منذ اللحظة الأولى التي تولى فيها قيادة الجيش، يهياً نفسه لإعادة الصراع ضد روما، بعدما توافرت له أسباب القوة المتمثلة في المراكز القرطاجية في شبه الجزيرة الإيبيرية، فهذه المراكز التي لها فائدتين إحداهما إقتصادية و الأخرى عسكرية³.

¹ مليزي، ر.، 2011، قرطاجة والبحر: 814-146 ق.م، مذكرة الماجستير، جامعة الجزائر، ص 57.
² غانم، م، ص. 1979، التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط، الجزائر، رسالة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ القديم، ص. 62.
³ العسلي، ب.، 1980، ص. 65.

الفصل الثاني

حملة حنبعل على إيطاليا

218-203 ق.م

حملة حنبعل على إيطاليا 218-203 ق.م:

1-الإستعدادات للحملة على إيطاليا 219-218 ق.م.

2-بداية الحملة وعبور جبال الألب

3-الحرب في إيطاليا:

أ-معركة تيسن (Tessin) 218 ق.م.

ب-معركة تريبي (Trébie) ديسمبر 218 ق.م.

ج-معركة ترازيمان (Trasimene) جوان 217 ق.م.

د-معركة كان (Cannes) أوت 216 ق.م

-أحداث معركة كان.

-نتائج معركة كان.

هـ-الأوضاع بعد معركة كان:

-الأوضاع في روما

-أوضاع حنبعل

1- الإستعدادات للحملة على إيطاليا 218-219 ق.م.

لما أحتلت مدينة ساغونته (Sagonte) من طرف حنبعل (Hannibal) وتدميرها سنة 219 ق.م، أعلن مجلس السناتو الروماني الحرب ضد قرطاجة باعتبار هذه المدينة حليفة لهم، هؤلاء الذين يستطيعون الآن مواجهة قرطاجة بعدما تمكنوا من الانتصار على الغاليين والإيريين، ضف إلى ذلك وصول الحزب الديمقراطي بزعامة فلانيوس (Flaminius) إلى القنصلية سنة 223 ق.م، و إعطاء عدة مناصب عليا لجماعة الإمليين (Aimilies) و السكيبونيين (Scipions) هتان الجماعتين اللتان تطالبان دائما بالإصرار في مواجهة الأخطار الخارجية، واللذان ستلعبان دورا هاما خلال الفترة الممتدة بين 222 و 216 ق.م.¹

بعد إعلان الحرب مع روما عاد حنبعل الى قرطاجة في إسبانيا لقضاء فصل الشتاء حيث أخذ في الإستعداد للحملة على إيطاليا، إذ إستدعى بعض القادة الإيريين وخاطبهم: "إن ضمان سلام إسبانيا أصبح من الضرورة، سواء بإنهاء الحرب و تسريح الجنود أو بنقل الحرب الى بلاد أخرى. ولضمان السلام لهذه البلاد يجب البحث عن المجد و الغنائم لدى الشعوب الأخرى." أمام هذا الطموح منح حنبعل لهؤلاء الجنود فصل الشتاء للراحة، شرط عودتهم مع بداية الربيع.²

لقد قام حنبعل بجلب جنود من إفريقيا إلى إسبانيا، بينما أرسل جنود إيريين إلى إفريقيا، وكان عددهم ثلاثة عشر ألف وثمانية مئة وخمسين من المشاة، ثمانية مئة وسبعين من رماة المقالع، ألف ومئتين فارس، كما جند في بعض المناطق الإسبانية أربعة آلاف جندي وأرسلهم إلى قرطاجة ليكونوا جنودا ورهائن في نفس الوقت.³

بعدها توجه حنبعل الى قادس (Gades) و قام بتقديم الأضاحي و الطقوس بحجة أن الآلهة ستساعده في مهمته، ومن قادس رجع إلى قرطاجة أين ترك جنوده، و هنا يقول تيت ليف: "أن حنبعل رأى في حلمه شخص يتجه إليه يدعي أن الإله جوبتر هو الذي أرسله إليه

¹ Combet Féroux, B., 1960, p.69.

² Tite-Live, XXI, 21.

³ Polybe, III, 2, 33.

ليقوده إلى إيطاليا، لذلك أمره بمتابعته دون النظر إلى الورا. لكن حنبعل نظر وراءه و لاحظ أفعى كبيرة الحجم تتقدم بين الأشجار و معها صوت كبير ورياح قوية ،فسأل حنبعل عن ماذا يعني ذلك؟ فأجابه ذلك الشخص: إنه تدمير إيطاليا، لذلك أتبعني دون إستشارة الألهة"¹. فنلاحظ أن الألهة وعدت حنبعل بالحماية و ستساعده في فتح إيطاليا.

كما ترك أخوه هسدر بعل (Hasdrubal) على رأس أحد عشر ألف وثمانية مئة إفريقي، ثلاثة مئة ليقوري، خمسة مئة بليار (Baléares)، ثلاثة مئة لبيوفنقي (Libyphéniciens)، ألف وثمانية مئة نوميدي (Numides) ومور (Maures)، و واحد وعشرين فيلا للدفاع عن السواحل الإسبانية والمناطق التي يشكك في عودة الرومان إليها². كما ترك أيضا حنون (Hannon) على رأس أحد عشر ألف جندي للدفاع عن المناطق الممتدة من البرانيس (Pyrénées) حتى نهر الإبيرو (Ibère).³

لم يكن حنبعل قائدا عسكريا فحسب، بل كان رجلا سياسيا أيضا و يظهر ذلك من خلال بحثه عن الحلفاء بين الشعوب التي هزمتها روما وجميع الشعوب التي تهددهم، كالغاليين الذين يسكنون سهل البو (Po) وسكان ما وراء جبال الألب، وسراقوسة التي تعتبر ممولا رئيسيا لروما، وسردينيا التي يسيء الحكام الجدد معاملة سكانها، ضف الى ذلك ملك مقدونيا الذي لم يقبل إستقرار الرومان على السواحل الإيليرية⁴، و يظهر ذلك في إستقبل حنبعل لعدد من الوفود خاصة الغاليين الذين وعده بتقديم المساعدات الحربية ضد روما، وكذا كل المعلومات الدقيقة حول جبال الألب، ومشاعر سكان سهل البو وحقدهم تجاه روما.⁵

بفضل هذه الإستعدادات لم يكن على حنبعل سوى إنتظار فصل الربيع حتى يشرع في تنفيذ مخططه الهادف الى دحر روما ومحاربتها فوق أراضيها، فبالتالي إجبار هذه الأخيرة

¹. Tite-Live, XXI, 21.

². Polybe, III, 2, 33.

³ Yanoski, J., 1844, *Esquisse Générale de l'Afrique et Afrique Ancienne: Carthage, Numidie, Mauritanie*, T2, Paris, p. 82.

⁴ قزال، س.، 2007، ص. 128.

⁵ دوكري، ف.، 1996، ص. 182.

على السياسة الدفاعية عوض السياسة الهجومية التي إعتمدت عليها مباشرة بعد إعلان الحرب. هذه السياسة المتمثلة في إرسال جيشان: الجيش الأول بقيادة تيبيريوس سمبرونيوس لونغوس (Tiberius Sempronius Longus) الذي يتولى مهمة الحملة على إفريقيا لذلك إتجه إلى مسينا (Messine) ثم إلى ليليبى (Lilybée). أما الجيش الثاني بقيادة بوبليوس كورنيليوس سكيبون (Poblius Cornélius Scipion) فكلف بالحملة على إسبانيا و الدفاع عن نهر الإبيرو الذي يعتبر الحد الفاصل بين السيطرة الرومانية و القرطاجية.¹ ومن هنا نلاحظ أن كلا القوتين وضعتا أهم الترتيبات والخطط الهادفة الى تحطيم كل الهجومات أثناء حدوثها ، و بالتالي لم يكن أمام روما وقرطاجة سوى إنتظار عودة الربيع لتبدأ الصراع من جديد.

2- بداية الحملة على إيطاليا و عبور جبال الألب.

لم يكن للقرطاجيين أسطولا بحريا صالحا لتأمين نقل جيش كبير إلى إيطاليا، كما أنهم لا يملكون في السواحل الإيطالية أي منطقة أو مدينة يمكن أن ينزلو بها، لهذا فليس أمامهم سوى الطريق البري الذي يمر عبر جبال البرانيس (Pyrénée) والألب (Alpes) الذي يقود إلى سهل البو، لذلك نلاحظ أن المخطط الذي وضعه حنبعل ناتج عن دراسة معمقة أو ربما وراثته عن أبيه، خاصة أن هذا الأخير لم يعمل على إنشاء أسطول بحري جديد أثناء وجوده في إسبانيا، بل كان ينوي مهاجمة إيطاليا عن طريق بلاد الغال، لذلك جاء حنبعل لإكمال مشروعه.²

بفضل هذه الترتيبات والإستعدادات، قرر حنبعل في ربيع 218 ق.م، الزحف نحو نهر الإبيرو مع جيشه البالغ تسعين ألف من المشاة وإثنا عشر ألف من الفرسان و سبعة وثلاثين فيلا³، بهدف السيطرة على شمال الإبيرو ثم التوجه نحو إيطاليا، كما ترك أخوه هسدر بعل

¹ قزال،س.، 2007، ص.125.

² قزال،س.، 2007، ص.129-130.

³ Polybe, III, 2, 35. Ferrero, G., 1918, *Grandeure et décadence de rome*, t1, trad, Urbain, M., Paris, p.20.

ليحكم إسبانيا، ولم يكن حنبعل يتصرف كغازي على هذه الشعوب وإنما محررا لها من السيطرة الرومانية¹.

وجد حنبعل عند وصوله الى نهر الإبيرو مقاومة عنيفة من طرف السكان الموجودين على ضفاف هذا النهر، لكن رغم ذلك قام بقهر هذه القبائل لأنه يرى أن الوقت غير كافٍ، مما أدى إلى فقدان روما لأهم حلفائها في اسبانيا². و بما أن هذه المنطقة فيها صعوبات فقد ترك حنبعل أحد مساعديه وهو حنون مع كتيبة من الجيش لمراقبة سكان هذه المنطقة³.

وحسب ما يذكر كاميل جوليان فإن عدد الجيوش التي وصلت مع حنبعل الطريق بلغت خمسين ألف من المشاة و تسعة آلاف من الفرسان و سبعة و ثلاثين فيلا⁴، بعد ذلك تقدم حنبعل نحو البرانيس دون معاناة تذكر، حيث عند وصوله إلى المنطقة قام بتسريح عدد من جنوده، ثم واصل القائد البرقي التقدم في شق طريقه وسط القبائل الغالية تارة بالقوة تارة بالتفاوض سواء بالمال أو بالذهب القرطاجي، حتى وصل في شهر جويلية إلى نهر الرون (Rhône)⁵.

حين علم القنصل سكيبيون بتقدم حنبعل حاول إيقافه وذلك بإنزال جيشه في ماسيليا ومنها يتجه نحو الإبيرو، لكن بمجرد وصوله إلى ماسيليا عرف أن الجيوش القرطاجية على بعد خمسين ميلا شماله⁶، فبالتالي يصعب ملاحقتها، لذا عاد سكيبيون إلى الساحل حيث سلم جيوشه لأخيه كايوس كورنيليوس سكيبيون (Caius Cornélius Scipion) وأمره بمواصلة السير نحو إسبانيا، بينما عاد هو الى مدينة بيزا (Pise) * وشرع في الإلتحاق بحنبعل مع فيلقين أرسلتهما روما إلى هناك لمواجهة الغاليين الثائرين⁷، وكذا قطع الطريق أمام حنبعل، هذا الأخير الذي طوّق القبائل الغالية المعادية له، ما أدى إلى إشتباكه مع فرقة

¹ شوقي، خ، ل. 1992، *قرطاجة العروبة الأولى في المغرب، لبنان*، ص. 186.

² و. Arnaud-Lindet, M-P., 2001, *Histoire et politique à rome*, Paris, p. 59.

³ Mommsen, T., 1865, p. 135.

⁴ دوكري، ف. 1996، ص. 184.

⁵ Jullian, C., 1920, *Histoire de la Gaule*, Paris, p. 459.

⁶ Mommsen, T., 1865, p. 136.

⁷ شوقي، خ، ل. 1992، ص. 187.

* بيزا: حول موقع هذه المنطقة في إيطاليا أنظر الخريطة رقم 2، ص. 43.

⁷ قرال، س. 2007، ص. 136.

إستطلاع من الفرسان النوميديين والرومان¹، في الوقت الذي جاء إليه زعماء غاليون من سهل البو لينصحو القائد القرطاجي بمتابعة مسيرته دون تأخر، كما وضعوا أنفسهم تحت تصرفه ليكونوا أدلة على الطريق².

بعد ذلك عبر حنبعل نهر الإيزار (Izere) *، و أخذ من فج سان برنار الأصغر (Col P, Saint-Bernard) على ما يرى غالبية المؤرخين معبرا له³، حتى وصل الى سفوح جبال الألب، و لم يكن إجتياز هذه الجبال سهلا خاصة بداية تساقط الثلوج ووجود العداء من سكان الجبال الذين أجبروه على المقاومة، الأمر الذي كلفه غالبا إذ لم يبق من الجيش القرطاجي الذي غادر قرطاجنة منذ خمسة أشهر سوى عشرين ألف من المشاة و ستة آلاف فارس وواحد وعشرون فيلا، وعند وصول جيوش حنبعل إلى نهر البو قامو بالسيطرة على مدينة تورين (Turin) و هي لإحدى القبائل الليغورية التي منعتهم من العبور⁴.

يذكر فرانسوا دوكري أن طوال كل هذه المسيرة، تحمل حنبعل خسائر جسيمة وكثيرة، سواء كانت ناجمة عن هجوم الأعداء أو أثناء إجتيازه مجاري الماء، ولقد كانت أكثر الخسائر في الخيول بسبب المنحدرات الوعرة و العوائق الأخرى التي صادفها جيش حنبعل في جبال الألب، لكن هذا لا يفسر فقط الخسائر بل هناك قسم كبير من الجيش بقي كحاميات كلفت بحماية النقاط والمناطق الإستراتيجية وكان القصد وراء ذلك الحفاظ على خطوط إتصالات حنبعل مع قواعده في شبه الجزيرة الإيبيرية⁵.

بإجتياز حنبعل لجبال الألب أصبح وجهها لوجه أمام روما، لكن إلتحق به القنصل بوبليوس كورنيليوس سكيبليون وحاول إعتراض طريقه، ما دفعهم إلى الدخول في إشتباك

¹ دوكري، ف، 1996، ص. 184.

² دوكري، ف، 1994، ص. 158.

* نهر الإيزر:نسبة إلى نهر الذي ينبع من جبال إيزيران (Iséran) في مقاطعة سافوا (Savoie) حيث يقطع مدينة غرونوبل و يصب في نهر الرون. أنظر: العسلي، ب، 1980، ص. 69.

³ حارش، م، أ، 2001، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب العربي في العصور القديمة، الجزائر، ص. 43.

⁴ قزال، س، 2007، ص. 136..

⁵ دوكري، ف، 1994، ص. 158-159.

غرب تيسين على نهر البو، وجرت ما تعرف بمعركة تيسين (Tessin) التي تعتبر أول معركة في الحرب البونية الثانية¹.

3-الحرب في إيطاليا:

أ-معركة تيسين(Tessin) 218 ق،م:

بعد إلحاق سكيبيون بحنبعل في ضواحي تيسين (Tessin) دخل معه في معركة، حيث إشتبك فرسان سكيبيون التي صاحبها المشاة الخفاف مع فرسان حنبعل، وكان النصر خلال هذه المعركة حليف القرطاجيين بفضل دور الفرسان النوميديين². حيث تم قتل العديد من الرومان و أصيب في نفس الوقت القنصل سكيبيون بجروح أمام أنظار ابنه الذي سيصبح فيما بعد سكيبيون الإفريقي³، أمام هذه الهزيمة إضطر سكيبيون الى نقل جيوش من تيسين وعبور نهر البو إلى مستوطنة بليزانس(Plaisance) التي إستقر بها⁴.

إنتظر سكيبيون في بليزانس وصول القنصل سمبرونيوس(Sempronius) بجيوشه لمساعدته، وهذا ما كان بالفعل إذ وصلت هذه الجيوش إلى أرمنيوم(Arminium) بعدما عبرت كل المناطق دون عواقب، ووصلت إلى بليزانس أين إنضمت إلى جيوش سكيبيون وبلغ عددها أربعين ألف جندي⁵.

بعد توحيد الجيوش الرومانية أخذ سمبرونيوس في الاستعداد للحرب، وكان هذا الأخير فخورا وجدير الطبع لذلك أراد قتال حنبعل مباشرة، لولا تدخل سكيبيون الذي نصحه بعدم فعل ذلك، بل يجب تعليم الجيوش الرومانية على القتال في الشتاء⁶.

¹ Le peyre, G.G. et Pellegrin, A., 1942, p.106.

² Polybe, III, 2, 65.

³ Silius Italicus, IV.

⁴ Hennebert, E., 1891, *Histoire d'Hannibal*, T2, Paris, p.463.

⁵ Mommsen, T., 1865, p.52.

⁶ طراد، إ.ن.، 1997، *تاريخ الرومان*، الجيزة، ص.138.

ب-معركة تربي (Trébie) ديسمبر 218 ق،م:

بعد إنتصار حنبعل في معركة تيسين، زحف نحو كلاستيديوم (Classidium) التي سيطر عليها و قام بتقسيم كميات القمح التي وجدها هناك على جنوده¹، وفي أواخر شهر ديسمبر 218ق.م قام حنبعل بنهب وقتل الشعوب الغالية التي بقيت حليفة لروما، وهدفه وراء ذلك هو جذب الرومان للمعركة التي يريد بها حنبعل، وهذا ما كان بالفعل إذ قام سمبرونيوس بعبور نهر تريبي رغم إرتفاع مياهه، والهجوم على الجيوش القرطاجيين، لكن هذه الأخيرة نُظمت فوق أرض المعركة المختارة من طرف قائدهم حنبعل².

وضع حنبعل الإبيريين والغاليين والأفارقة في مقدمة جيشه على شكل خط مستقيم، بينما النوميديين على الأجنحة أما الفيلة في الأمام³.

هاجمت الجيوش الرومانية الجيوش القرطاجية الموجودة في الوسط وحققو التقدم، لكن على مستوى الأجنحة كان العكس إذ تمكنت الفيلة والفرسان النوميديين الذين يهاجمون و يتراجعون في نفس الوقت من التغلب على الأجنحة الرومانية⁴. و فجأة هاجم جيش قرطاجي آخر متكون من من ألفين رجل بقيادة ماقون (Magon) الأخ الصغر لحنبعل على مؤخرة الجيش الروماني و قام بإبادتها⁵. لقد إستطع بعض الرومان الفرار والعودة إلى بليزانس، أما البقية فلقد فروا أو قتلوا على يد القرطاجيين أو تحت أقدام الفيلة. بينما لم تقع

¹ Polybe, III, 2, 69.

² Mommsen, T., 1865, p. 153.

³ Polybe, III, 2, 72.

⁴ Le Bohec, Y., 1996, *Histoire Militaire Des Guerres Puniques*, 246-146 av, j-c, France, p. 175.

⁵ Mommsen, T., 1865, p. 154.

خسائر كبيرة في الجيش القرطاجي ما عاد في صفوف الغاليين الذين كانت عدد قتلهم كبيرة للغاية¹.

ويذكر تيت ليف أن هزيمة تريبي أحدثت رعبا في روما، جعلت الرومان يعتقدون أنهم يرون حنبعل زاحفا نحو المدينة، فبعد إنهزام القنصل الأول في تيسن ثم إستدعاء القنصل الثاني من صقليا لتوحيدهما، والأن كلا الجيشان هُزما، فمن أي قائد ومن أي جيش تطلب روما منه المساعدة².

بعد هذا الانتصار أصبح حنبعل مهيمنا على بلاد الغال، وأدى ذلك إلى إنضمام عدد كبير من الغاليين إلى جانب القائد القرطاجي، مما زاد من عدد جنوده إلى نحو خمسين ألف جندي، وأمضى حنبعل فصل الشتاء عام 217/218 ق.م في تدريب الغاليين الذين إنضموا إليه³، وأخذ بجمع المؤن و الغنائم إستعددا لربيع 217 ق.م من أجل التوغل في أراضي إيطاليا الوسطى⁴. كما قام بتسريح بعض الأسرى لتأكيد عمله الدعائي، لكن قساوة الشتاء كانت شديدة على جنوده، وعلى الفيلة التي ماتت كلها ما عاد واحد⁵.

لقد نجى القنصل تيريوس سمبرونيوس (Tibérius Sempronius) بأعجوبة مع بعض الفرسان من كمين دبره حنبعل من القبض عليه، و هو في طريقه إلى روما حيث وصل وقت إنتخاب القناصلة الجدد⁶. ورغم هذه الهزيمة إلا أن مجلس السناتو الروماني قرر إرسال جيوش الى صقليا (Sicile) و سردينيا (Sardaigne) و ترنت (Tarente) للدفاع عنها ضد القرطاجيين⁷.

لما وصل وقت انتخاب القناصيل في روما تم تعيين كايوس فلانيوس (Flaminius Caius) وسرفليوس جمينوس (Servilius Geminus) قنصلين جديدين و كلفا

¹ دوكري، ف، 1994، ص. 160.

² Tite-Live, XXI.57.

³ رزق الله، أ، 1996، التاريخ الروماني، لبنان، ص. 128.

⁴ Combert Fernoux, B., 1960, p.83.

⁵ دوكري، ف، 1994، ص. 160.

⁶ Mommsen, T., 1865, p.155.

⁷ طراد، إن، 1997، ص. 138.

* أرمنيوم: هي ريميني حاليا (Rimini) وتحول الآن إلى مركز سياحي و أثري. العسلي، ب، 1980، ص. 71.
** الملك هيرون: ملك سراكوزة، ولقد عرف بتغيير مواقفه حيث ساعد القرطاجيين في حربهم ضد المرتزقة، كما أرسل مساعدات اروما أثناء بداية الحرب البونية الثانية. أنظر Polybe, Index général

بمهمة الذهاب إلى أرمنيوم (Arminium)* وأتروريا (Etrurie) لتأمين الطريقين المؤديين إلى روما ، كما أرسلو وفدا إلى الملك هيرون (Heiron)** لطلب مساعدته¹.

ج-معركة ترازيمان(Trasimène) جوان 217 ق،م:

في ربيع 217ق.م قام حنبعل بإحراق الأرياف ونهبها وهويستأنف طريقه نحو الجنوب، وأمام هذه الأوضاع قرر فلامنيوس(Flaminius) الذي نفذ صبره ملاحقة حنبعل الذي إكتشف أرض مناسبة لمخططه إذ عرف كيف يجذب القائد الروماني إلى أرض المعركة²، و ذلك بإدخال جيوشه في ممر ضيق يحاذي بحيرة ترازيمان وعسكر هناك، ووضع عدد كبير من جيوشه على المرتفعات الموجودة حول البحيرة³.

قرر فلامنيوس متابعة حنبعل دون إنتظار وصول القنصل سرفليوس(Sérvilius) الذي كان معسكرا في أرمنيوم⁴، و أثناء مرور فلامنيوس و جيشه بالمضيق، هاجمه حنبعل من كل الجهات مستغلا في نفس الوقت الضباب الكثيف⁵.

كانت نتائج معركة ترازيمان* وخيمة على الجيش الروماني حيث سقط أغلبية الجنود الرومان في بحيرة ترازيمان غرقا، ما أدى إلى موت القنصل فلامنيوس وخمسة عشر ألف من جنوده ولم يستطيع النجاة سوى ستة آلاف بعدما تمكنوا من إختراق صفوف حنبعل، هذا الأخير الذي فقد بدوره ألفين و خمسمئة جندي⁶.

بعد هذا الإنتصار تابع حنبعل خطته حيث قام بفرز الأسرى غير الرومان و إطلاق سراحهم مرددا ما قاله منذ أول معركة، بأنه لم يأتي محاربا بل محررا للمدن الخاضعة

¹ Polybe, III, 2, 75.

² دوكري، ف، 1994، ص. 161.

³ Lancel, S., 1992, p. 406.

⁴ جوليان، ش، أ، 1969، ص. 85.

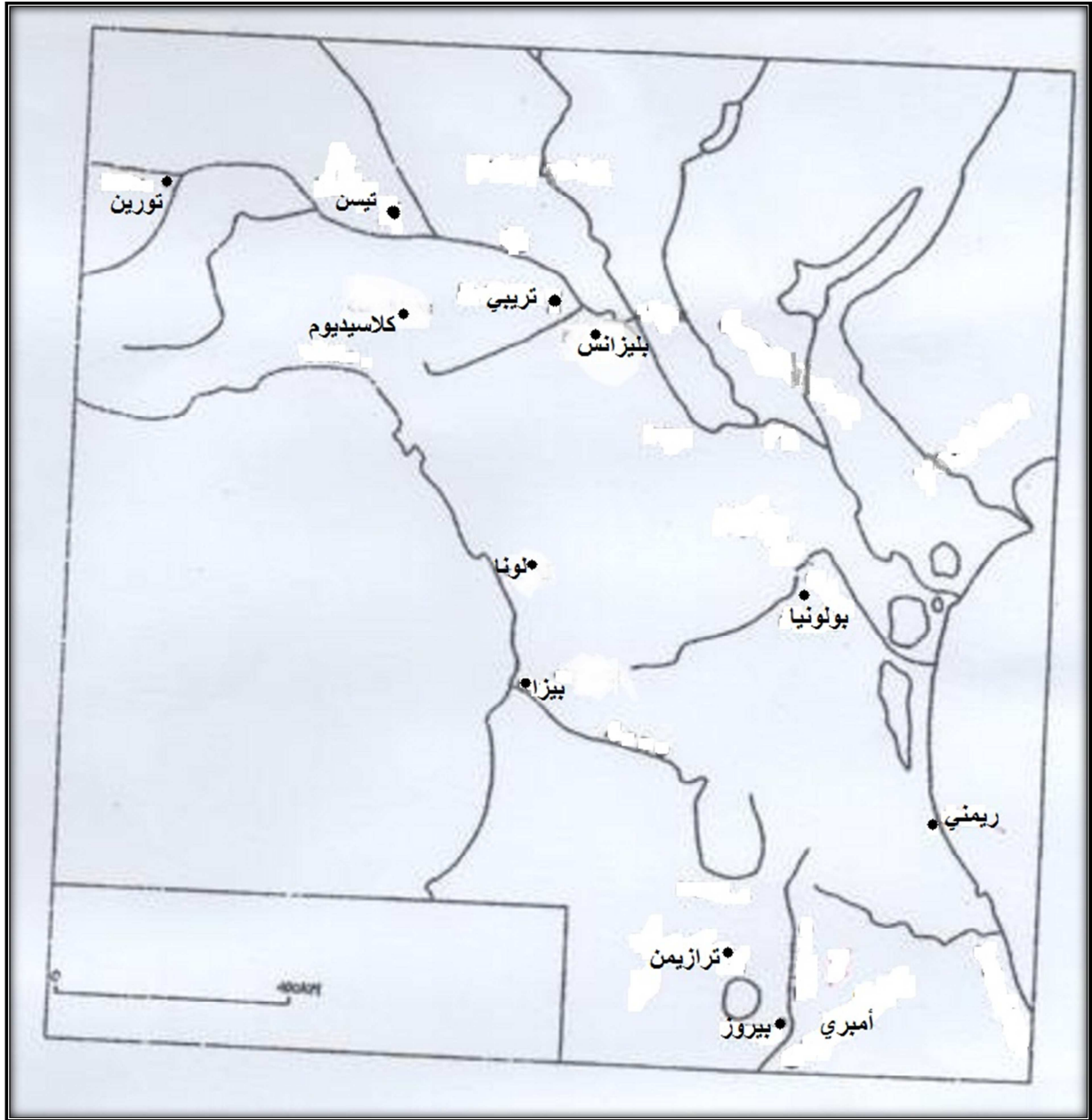
⁵ رزق الله، إ، أ، 1996، ص. 128.

*ترازيمان: بحيرة بيروس (Lac Pérouse) في إقليم إتروريا القديم. أنظر: العسلي، ب، 1980، ص. 70.

⁶ طراد، إ، ن، 1997، ص. 138.

للسيطرة الرومانية. وفي نفس الوقت وصل جيش يضم حوالي أربعة آلاف جندي بقيادة
كاوس سنتونيوس (Caius Santunius) أرسلهم سرفليوس (Sérvilius) لمساعدة
فلامنيوس، هذه الجيوش التي إصطدمت في منطقة أمبري (Ombrie) * مع القائد ماهربعل
الذي أبادها بدورها¹.

¹ Lancel, S., 1992, p. 406.



خريطة رقم (02) تبين موقع معركة تيسن، تريبى و ترازيمن و منطقة أمبري.

Le Bohec, Y., 1996, p.177.

أدت هذه الانتصارات إلى حدوث أزمة داخل روما حيث ظن الرومان أن حنبعل سيهاجم المدينة، لكن هذا الأخير له رؤية أخرى إذ يرى أنه لا يملك الجيوش اللازمة لمهاجمة مدينة روما بسبب معاناة وتعب خيالاته¹. لذلك عبر أمبري (Ombrie) وأخذ يتجه إلى بيكنوم (Picenum) * حيث ينهب و يقتل حلفاء روما و لم يتوقف حتى وصل إلى الأدرياتيك (Adriatique)، أين قام باراحة جنوده و خيوله².

لقد إزدادت الأوضاع في روما سوءا، ففي غياب القنصلين عندما قتل الأول ومحاصرة الثاني بالجيوش القرطاجية الذي أصبح غير قادر على الاتصال والرجوع الى روما، لهذا قام مجلس السناتو بتعيين كوينتوس فابيوس ماكسيموس (Quintus Fabius Maximus) دكتاتورا³. كان هذا الرجل هادئا ومتأنيا**، حيث قام بإصلاح حصون المدينة وهدم الجسور كما أمر سكان المناطق التي يظن أن حنبعل سيمر بها، بإحراق منازلهم و إتلاف محاصيلهم و أراضيهم و يقيموا في الأماكن المحصنة⁴.

إنتهج فابيوس سياسة مغايرة تجاه حنبعل، إذ رفض خوض المعركة لمعرفته بتفوق الفرسان القرطاجيين وصعوبة الوقوف أمام قاهر سكيبيون وفلامنيوس وسمبرونيوس، لذا أخذ يتبع حنبعل دون الإلتحاق به، ويمنع وصول المؤن إليه ويقضي على فرقه من غير أن يعرض فابيوس نفسه للماخطر الكبيرة⁵. أما حنبعل كان يواصل تخريب المناطق التي يمر بها ويقتل كل روماني يصادفه أمامه، حتى إلتقى مع فابيوس ماكسيموس في أبوليا (Apulie) فزحف حنبعل ليقاقله، لكن فابيوس بقي صامدا دون أن يتحرك من معسكره ولم يكن يبالي بكلام حنبعل، كون الدكتاتور يرى أن متابعة حنبعل وقطع الطريق أمام المؤن التي ترسل إليه هي أحسن وسيلة لإهلاك القائد القرطاجي الموجود في أرض غريبة

¹ قزال،س.،2007،ص.139.

*بيكنوم: حول موقع المنطقة،أنظر الخريطة رقم3،ص.52.

² Brizzi,G.,2007,Moi Hannibal,France,p.149.

³ Tite-Live.,XXII,8. Plutarque.,Vies des hommes illustres,trad,Alexis pierron,T1,Paris,1853,VII.

**عرف بالمتأن(Cunetatur)لأنه كان من أنصار الحرب الطويلة،وذلك بإنهاك العدو بمناوشات خفيفة و يحرمه من المؤونة مع تجنب الإصطدام المباشر به أو يعرض الجيوش الرومانية للأخطار.أنظر:حارش،م،ل.،1992،مجلة الدراسات التاريخية،العدد السادس،الجزائر،ص.58.

⁴ طراد،إ.ن.،1997،ص.138.

⁵ قزال،س.،2007،ص.140.

لايعرف عنها شيئاً، وكذا صعوبة تعويض خسائره في الجيش نظراً لبعده المسافة عن قرطاجة و إسبانيا¹.

أخذ فابيوس يتبع حنبعل خطوة بخطوة ويأخذ الأماكن الإستراتيجية ويقضي على بعض جنوده²، لذا قرر القرطاجيون الزحف على أبوليا (Apulie)*، وسمنيوم (Samnium) ثم كامبانيا (Companie) وبعدها كابو (Capoue).³ وكان حنبعل يهدف من وراء هذه الأعمال إلى إرغام فابيوس على خوض المعركة الحاسمة وعزل روما عن حلفائها الذين تبدو غير قادرة على الدفاع عنهم، لكن الدكتاتور بقي متصلباً فيما قرره، ولا يلقي سمعاً للفلاحين الذين أصابهم الإفلاس بعدما نهب حنبعل محاصيلهم الزراعية مما جعل فابيوس عرضة الإنتقادات⁴.

لما قرب فصل الشتاء أراد حنبعل الخروج من كامبانيا عبر مضيق لا يبعد عن معسكر الرومان، فأرسل فابيوس أربعة آلاف رجل لإحتلال المضيق وفرقة أخرى من الجنود إلى ضفة نهر فولترنوس* بينما أقام هو مع باقية الجنود على المرتفعات فأصبح حنبعل محاصراً من كل الجهات⁵. لكن هذا الأخير إستطاع إستغلال بعض المرتفعات التي فتحت له الطريق، وأطلق الثيران التي تحمل على قرونها حطباً يابساً مشتعلاً بالنييران، ما جعل الرومان يعتقدون أن القرطاجيين يستعرضون أمام النييران⁶، إتجه بعض الفرسان القرطاجيين نحو المضيق وأطلقوا هذه الثيران، لما نظر الرومان إلى المضيق الذي ينور ظنوا أن القرطاجيين هم الذين إخترقوا الجبل من تلك الناحية، فتركوا مراكز حراستهم بسرعة و ذهبوا لقتال القرطاجيين في المضيق، لكن لما وصلو وجدوا الثيران هائجة ورؤوسها مشتعلة فذهلوا منها⁷.

¹ طراد، إن، 1997، ص.139.

² Mommsen, T., 1865, p.146.

³ Combet Féroux, B., 1960, p.85.

⁴ قزال، س، 2007، ص.140.

⁵ طراد، إن، 1997، ص.139.

⁶ Mommsen, T., 1865, p.164.

⁷ Polybe, III, 3, 94.

في تلك الظروف خرج حنبعل من كامبانيا دون مواجهة أو مقاومة من طرف الرومان، ومع الصباح قام بتسريح بعض قواته الخفيفة منها، وواصل هو مسيرته الطويلة حيث اجتاز و نهبه دون أي مقاومة كل من بلا د:الهربين(hairpins)، سامنيت(samnites)، كامبانيا (campanies)، بولييجيان(poeligniens)، فرانتان(frentans) و يرجع قرب لوكري (Lucérie) محملاً بالغنائم و خزائنه مليئة، في هذه الأثناء رأى حنبعل أنه لم يبق له سوى خوض معسكره الشتوي¹.

لما بدأ حنبعل في الإستعداد لمعسكره الشتوي وصلته أخبار تفيد بترك العدو لكميات كبيرة من القمح في لوكري(Lucerie) و جرونيوم (Géronium) هذه الأخيرة التي ستستخدم كمستودع، لذا إتجه حنبعل الى مكان يبعد عن 200 ستاد عن لوكري، وأخذ يتحاور مع الأهالي لكسب ودهم، لكن رفض هؤلاء سماعه جعله يحاصر المدينة و يقتل سكانها، ثم بعث قسمين من جيشه لجمع الغنائم ووضعها في أيدي القادة الذين يختارون لهذه العملية أما القسم الثالث فيكلف بحماية القسمين الأولين².

أمام هذا التقدم الذي أحرزه حنبعل قرر الرومان تعيين ماركوس مانيسيوس (Marcus Minicius) لقيادة الفرق الرومانية بعد غياب الدكتاتور فابيوس³. كانت أول خطوة قام بها مانيسيوس هو التقدم نحو القرطاجيين والإستقرار في لارنيوم (Larinium)⁴. لما رأى حنبعل ذلك أرسل قسمين من جيشه نحو الجيوش الرومانية على بعد 16 ستاد و كان هدفه إثارة العدو و كذا حماية الجيوش المكلفة بجمع الغنائم، مع غروب الشمس هاجمت جيوش مانيسيوس القرطاجيين وقتل عدد كبير منهم، أمام هذا النجاح إزدادت شعبية مانيسيوس في روما فإزدادت طموحاته لخوض المعركة ضد حنبعل، لذلك حين رجع فابيوس أعطى له هذا الأخير حرية الإختيار بين قيادة الجيش بالتناوب أو تقسيمه إلى

¹ Mommsen,T.,1865,p.165.

² Polybe,III,3,100.

³ محمد السيد، ع، غ، 2005، ص.374.

⁴ Mommsen,T.,1865,p.166.

قسمين، فأختار مانسيوس تقسيم الجيش.¹ لكن سرعان ما جذب حنبعل مانسيوس إلى كمين كاد يؤدي إلى قتل كل جيشه لولا تدخل فابيوس²، أمام هذه الأوضاع قرر حنبعل خوض المعسكر الشتوي لسنة 217-216 ق.م في أبوليا³.

د- معركة كان(Cannes)أوت 216 ق.م:

مثل عام 217 ق م كابوسا ضاعطا على أعصاب الرومان بعد هزيمة ترازيمن و إخفاق الدكتاتور فابيوس في تلبية آمال روما المتمثلة في الثأر من القائد القرطاجي حنبعل. لذلك عند ما جاء وقت إنتخاب القناصل عين لوكيوس إميلوس باولوس (Lucius Aemilius Paulus) وكايوس تارنتيوس فارون (Caius Tarentius Varron) قنصلين جديدين لسنة 216 ق.م⁴، وكان إميلوس باولوس من الطبقة الأرستقراطية والأشراف، أما تارنتوس فارون كان من العامة لذلك ينظر إليه الأشراف والأرستقراطيين على أنه معارض للسناتو⁵.

بعد ما تحصل القنصلان على قرار السناتو، قام إميلوس باولوس بإرسال مجندين جدد إلى البروقنصل* سرفليوس جمينوس (Sérvilius Geminus) الذي عين قيادة الجيش في كمبانيا، وأعطيت له الأوامر بعدم إدخال الجيش الروماني في معركة أو مهمة عامة، وإنما يجب تدريبه على مقاتلة العدو في معركة كبيرة. أما البروقنصل الثاني بوستيموس ألبينوس (Postumius Albinus) أرسل إلى بلاد الغال مع جيش ليقوم بمحاربة القبائل الغالية التي قدمت المساعدة لحنبعل⁶.

¹ Polybe, III, 3, 101-103.

² العسلي، ب، 1980، ص. 73.

³ Lancel, S., 1992, p. 407.

⁴ Yanoski, J., 1844, p. 83.

⁵ محمد السيد، ع، غ، 2005، ص. 375.

* البروقنصل: هي مهمة تعطى لأحد القادة وله صلاحيات القنصل خارج روما. أنظر: أبو المحاسن عصفور، م، 1981، المدن الفنيقية، بيروت، ص. 94.

⁶ Polybe, III, 4, 106.

* نهر الأفيدوس: نهر أفانتو حاليا يصب على بحر الأدرياتيك ويقع قرب قرية كانه. أنظر: العسلي، ب، 1980، ص. 77.

أحداث معركة كان:

لما وصل فصل الربيع ترك حنبعل معسكره في أبوليا، و قام بالزحف من جرنيوم (Géronium) نحو الجنوب، مرورا بلوكري كما عبر نهر الأفيدوس (Aufidus) وإستولى على موقع كان (Cannes)، الذي يحتوي على أهم مخازن القمح¹. أما في روما فلقد قرر مجلس السناتو خوض المعركة مع حنبعل، و كل الأنظار موجهة نحو القائد إملئوس بولوس الذي كان يتميز بالشجاعة، القدرة والكفاءة أثناء حرب روما ضد الإليريين².

بعد ما أعد للأمر عدته ذهب الرومان إلى مدينة كان في سهل أبوليا (Apulie)، بجيش يقدر بحوالي ثمنين ألف من المشاة وحوالي ستة آلاف فارس، بينما يضم الجيش القرطاجي أربعين ألف من المشاة و عشرة آلاف من الفرسان، ويعتبر التفوق في الفرسان ذو أهمية بالغة كونهم القوة الضاربة في الجيش القرطاجي³.

قام القنصل إملئوس بولوس بمخاطبة الجيوش الرومانية من أجل تشجيعها، كوّن القنصلين لم يقودا المعركة معاً، كما أن المجندون الجدد في الجيش الروماني لم يحاربوا من قبل، ويجهلون نوع العدو الذي سيواجهونه⁴. و هذه هي بعض الكلمات من خطاب إملئوس: "إن الجيش الروماني الذي حارب في معركة تربي (Trébie) جاء من صقلية وكان مرهقا لذلك لم يستطيع أن يحارب، أما في معركة ترازيما فلقد حل بين الرومان و القرطاجيين ضباب كثيف ولم يلاحظ الرومان العدو. أما الآن فلقد تغيرت تلك الأحوال و أصبحنا عالمين بقوة و خداع عدونا حنبعل، وإننا أكثر منهم عدداً⁵. قنصليكم أمامكم و سيقاسمون المخاطر معكم، نحن نخاطب الناس الذين يريدون أن يحاربوا من أجل وطنهم،

¹ Mommsen, T., 1865, p. 169.

² Polybe, III, 4, 107.

³ العسلي، ب.، 1980، ص. 77.

⁴ Polybe, III, 4, 108.

⁵ طراد، إن.، 1997، ص. 141.

نساءهم وأطفالهم فلنذهب للمعركة، ولا بدى من معرفة أنه ليس مصير بعض الجنود هو الذي سخره إن هزمنا في المعركة بل مصير كل روما¹. ويظهر من خلال هذا الخطاب أن الرومان رموا بكل ما يملكون في هذه المعركة كما أنهم يقدرون أحسن تقدير قوة حنبعل.

إن الرومان هم الذين تكفلوا بإخراج حنبعل من الضائقة حين عرضوا عليه المعركة التي طالما إنتظرها، و لقد جرت على نهر الأفيديوس (*Aufidus*) حيث كانت الأرض صالحة لفرسان حنبعل في أوت 216 ق.م². بدأت هذه المعركة بإستفزازات حنبعل الذي يرسل بعض الفرسان النوميديين لمهاجمة بعض الجنود الرومان الذين كانوا يبحثون عن الماء، ويتبعونهم حتى معسكرهم ما يجعل مهمتهم مستحيلة، الأمر الذي دفع فارون إلى الغضب ، خاصة بعد وصول أخبار إلى روما تفيد بتقرب الجيش القرطاجي والروماني³.

في اليوم التالي تولى فارون قيادة الجيش الروماني⁴، ورتبه للمعركة بعدما إنتقل إلى الضفة الأخرى من النهر. في نفس الوقت الذي قام حنبعل بإجتياز النهر مع Baléares و رماة السهام الذين يشكلون الصف الأمامي، ثم أخرج بقية الجنود التي عبرت نهر الأوفيديوس وأصطفت أمام الرومان⁵.

لقد أعتبرت خطة حنبعل التي أعتمد عليها في هذه المعركة مثالا لكل المدارس الحربية وربما أكبر معركة في التاريخ القديم⁶. وذلك لعدم إستفادة الرومان من تفوقهم العددي إلا بمضاعفة خطوط مشاتهم بقصد زيادة ثقل الهجوم على جبهة حنبعل⁷.

نظم حنبعل جيشه كالعادة حيث جعل الفرسان الإبيريين والكلتيين بالجناح الأيسر، والنوميديون بالجناح الأيمن، أما في الوسط فرتب المشاة الغاليين والإسبانيين ونظمهم على شكل خط يشبه هلال. وبين طرفي هذا الهلال و الجناحين جعل المشاة الأفارقة مقسمين إلى

¹ Polybe, III, 4, 109.

² قزال، س.، 2007، ص. 141.

³ Polybe, III, 4, 112.

⁴ كان القنصلان فارون و بول إميلي يتناوبان القيادة، يقود أحدهما الجيش و يقود الآخر الجيش في اليوم التالي. أنظر

العسلي، ب.، 1980، ص. 77.

⁵ Polybe, III, 4, 113.

⁶ Ait Amara, O., 2009, p. 59.

⁷ طراد، إن.، 2004، ص. 222.

قسمين متساويين¹. كان مخطط حنبعل هو دفع الرومان إلى الهجوم على القسم الوسط حيث توجد العناصر الأقل مقاومة هذه العناصر التي تتخلى عن مواقعها و تتراجع إلى الوراء أمام ضغط الجيوش الرومانية وتتمكن من إمتصاص الرومان الذين سيظنون أنهم يحرزون النصر².

أما القيادة بالنسبة للقرطاجيين كما يلي :هسدر بعل قيادة الجناح الأيسر و حنون الجناح الأيمن، أما الوسط فكان تحت قيادة حنبعل و أخيه ماقون كمستشار. أما الجيش الروماني فتولى إملئوس قيادة الجناح الأيمن و فارون الجناح الأيسر، أما سرفليوس (Sérvilius) و أتليوس (Atilus) قنصلا العام الماضي فتولو قيادة الوسط³.

مع بداية المعركة قام الجناح الأيسر من الجيش القرطاجي بمهاجمة الجناح الأيمن المقابل له، كما قامو في نفس الوقت بتطويق خلفية الجيش الروماني، الذي بدأ يتقدم في الوسط بعد تراجع المشاة الإيبيريين والكلتيين⁴. أما إملئوس الذي كان تحت قيادة هذا الجناح (أي الجناح الايمن) إستطاع إختراق صفوف الجيش الروماني ويلتحق بالوسط حتى يشارك في المعركة كما أمرهم من قبل. لكن النوميديين في الجناح الأيمن هاجمو الفرسان الرومان الذين يقابلهم⁵، ورغم صمود هؤلاء إلا أن إلتحاق فرسان هسدر بعل بالنوميديين مكنهم من إبادة فرسان إملئوس، و جعلها خارج نطاق المقاومة⁶.

ترك هسدر بعل النوميديين لمتابعة الفرسان الفارين أما هو فرتب جيشه للمرة الثالثة وهاجم مؤخرة المشاة الرومانية التي إرتمت كلها على الإيبيريين والكلتيين الذين وضعهم حنبعل في الوسط، و لقد تمكنو من جذب الجيوش الرومانية إلى الوسط في الوقت الذي إلتف حولهم الأفارقة و هاجمهم هسدر بعل من الخلف ما جعل حتى محاولة هروب المشاة

¹ قزال،س.، 2007،ص.141.

² دوكري،ف.، 1994،ص.163.

³ Polybe,III,4,114.

⁴ محمد السيد،ع،غ.، 2005،ص.376.

⁵ Polybe,III,4,116.

⁶ Ait Amara,O.,2009,p.60.

الرومانية مستحيلة¹،

أمام هذا الإرتباك إنهزمت الجيوش الرومانية ومات القائد إملئوس بسبب الإصابات التي تعرض لها خلال المعركة، كما قتل أتليوس وسرفليوس، أما القنصل فارون فأستطاع الفرار مع سبعين فارس، بالإضافة إلى حوالي ثلاثة مئة فارس من الحلفاء الذين فروا عبر مجموعات صغيرة إلى بعض الأماكن المجاورة².

¹. Mommsen, T., 1865, p. 173.

². Polybe, III, 4, 116.



خريطة رقم (03) تبين ميدان معركة كان.

Le Bohec, Y., 1996, p.182.

نتائج معركة كان:

لقد كانت نتائج معركة كان وخيمة على الجيش الروماني¹، إذ يرى بوليبي أن حجم الخسائر عند الرومان بلغت سبعين ألف قتيل، وعشرة آلاف جندي أسير لم يشاركوا في المعركة، لأن إميلوس تركهم في معسكره وأمرهم بمهاجمة معسكر حنبعل إذا أدخل هذا الأخير كل جيوشه في المعركة، لكن هذه القوات اصطدمت بالجيوش القرطاجية المكلفة بحراسة المعسكر حتى وصول حنبعل الذي قتل منهم ألفين و أسر البقية².

بينما يرى تيت ليف أن الخسائر الرومانية بلغت خمسة وأربعين ألف وخمسمئة قتيل من المشاة وألفين وسبعة مئة من الفرسان نصفها من الرومان والنصف الآخر من الحلفاء³. رغم كل هذه الاختلافات إلا أن الرومان هم أكثر المتضررين خاصة بعد مقتل القنصل إميلوس باولوس (Aemilius Paulus)، و كوستورا القنصلين لوكيوس أتيلوس (Lucius Atilus) ولوكيوس فريوس بيباكلوس (Lucius Furius Bebaclius)، تسعة وعشرون قاضي فرق، و عدد كبير من القادة منهم: كنايوس سرفليوس (Cnaeus Servilius) وماركوس مانسيوس (Marcus Manicius) و نحو ثمنين من أعضاء السناتو أو من شاغلي المناصب المؤهلة لهذا الشرف، بالإضافة إلى عدد من الأسرى الذين بلغوا ثلاثة آلاف من المشاة وألف وخمسمئة من الفرسان⁴.

أما الجيش القرطاجي فلقد خسر خمسة آلاف و سبعمئة رجل معظمهم من الغاليين. في اليوم الذي تلى معركة كان أمر مهربعل القائد حنبعل مواصلة السير والزحف على روما، غير أن هذا الأخير رفض ذلك فقال له مهربعل: "إن الألهة لا تمنح الإنسان كل شيء"⁵

¹الكاتب،س،أ،2005،أطلس التاريخ القديم،ط2،بيروت،ص103.

²Polybe,III,4,117.

³Tite- Live,XXII,49.

⁴Tite-Live,XXII,49.

⁵دوكري،ف،1996،ص191.

"إنك يا حنبعل تعرف كيف تنتصر و لكن لا تحسن الاستفادة من انتصارتك"¹، ولقد برهن حنبعل على حكمته كونه يعرف أن مدينة روما محصنة بأسوار تبلغ 11كلم، كما أن عملية حصارها تتطلب مدة زمنية طويلة ومثل هذا العمل لا يتناسب مع أساليبه الحربية التي كانت دائما نتائجها مؤكدة².

في الحقيقة نجهل الأسباب التي كانت وراء عدم هجوم حنبعل على روما، حيث يرى بعض المؤرخين أنه كان ينتظر هدنة من روما وتطلب السلام، والبعض الآخر يرى أن الجيش القرطاجي ليس مدرب على عملية الحصار³.
أما الأوضاع في روما فبلغت حدا من الذعر والاضطراب يصعب وصفها على حد قول تيت ليف إذ بعد مقتل قنصل و إبادة جيشه في معركة ترازيمان ههي روما تتعرض لennكبة كبيرة وتخسر جيشان وعدد من كبير من القادة ، لهذا فلم يبقى لروما أي معسكر أو قائد أو جندي⁴ .

هـ-الأوضاع بعد معركة كان:

-أوضاع روما

بعد هذه الهزيمة انفصل عن روما قسما من الأبوليين(Appulliensi) واللوكانيون(Lucaniensi) والبرتيون(Bruttieni) ومدينة كابو التي إقتدت بها كل مدن كامبانيا، والتي كان القائد القرطاجي يحلم بجعلها معارضة و منافسة لروما⁵. ثم وصلت أخبار عن تمزيق فرقتين رومانيتين في الغالة القريبة في الشمال تحت قيادة بوستميوس(Postumius) بعد تعرضها لهجوم مباغت و إستخدام جثثهم في طقوس دينية⁶.

¹ Le Bohec,Y.,1996,p.203.

² دوكري،ف، 1994، ص.163.

³ Ait Amara,O.,2009,p.60-61.

⁴ Tite-Live,XXII,22.

⁵ حارش،م،أ، 2001، ص.49.

⁶ Tite-Live,XXIII,24.

عند إنتخاب القناصل لسنة 212ق.م، تم تعيين كوينتوس فولفيوس فلاكوس
(Quintus Fulvius Flaccus) وأبيوس كلاوديوس (Appius Claudius) قنصلين
جديدين، وقاموا بعملية تجنيد عدد كبير من الجنود إذ وصلت الفرق الرومانية إلى حدها
الأقصى حيث بلغت 25 فرقة¹. تمكن بفضلها الرومان من إسترجاع عدة أماكن مثل:
أربي (Arpi) وعدد من المواقع في كامبانيا مما دفعهم بإزدياد الضغط على كابو المحاصرة
من قبل. هذه الأخيرة التي تعرضت سنة 211 ق.م للمجاعة بعدما حاصرها ستة فيالق
رومانية تحت قيادة كوينتوس فولفيوس و أبيوس كلاوديوس و البريتور كلاوديوس نيرون
(Claudius Neron) مما دفع بالإستنجاد حنبعل².
أدرك القائد القرطاجي حنبعل صعوبة التخلص من الحصار، لذا قرر الزحف على
روما³. لإجبار الجيوش الرومانية على الإلتحاق به للدفاع عن روما، لكن هدفه
لم يتحقق إذ هاجمت الجيوش الرومانية مدينة كابو من كل الجهات و تركها حنبعل تواجه
مصيرها بعدما توجه هو إلى البرتيوم⁴، ولقد إنتقم الرومان من سكان كابو شر الإنتقام،
حيث أعدم العديد من سكانها وبينهم ثمانية وعشرون سناتورا وثلاثة وخمسون ضابطا
وقاض، ولقد تمت هذه العملية في الأماكن العمومية و أمام أعين القنصل كونتوس
فولفيوس، أما سكانها الآخرين فأدخلو السجون و صدرت أملاكهم⁵.

-

¹ محمد السيد، ع، غ، 2004، ص 388.

² دوكري، ف، 1994، ص 194.

³ Le Bohec, Y., 1996, p.221.

⁴ Combet Féroux, B., 1960, p.94.

⁵ Mommsen, T., 1865, p.226.

أوضاع حنبعل

في الوقت الذي رأى حنبعل ضرورة تدعيم جيشه أرسل أخوه ماغون (Magon) إلى قرطاجة ليعلن إنتصاره ويطلب من مجلس الشيوخ المساعدات¹ التي وافقت عليها قرطاجة و المقدرة بإثنا عشر ألف من المشاة وألف وخمسمئة فارس وعشرين فيل و كلف ماغون بالذهاب إلى الهضبة إبيريا ثم العبور إلى إيطاليا عن طريق بلاد الغال². وفي نفس إستطاع حنبعل كسب عدة مدن منها كابو التي سيجعلها قاعدة لأعماله، بينما لم يتمكن من ضم تاروننتة (Tarente) و ميقابونيوم (Metaponte) و سيباري وهرقلييا و توريس إلا في عام 213 ق.م، و لقد ضلت نولة (Nola)، نابولي (Naples) و كوماي (Cumae) أوفياء لروما³. ولقد تعطل وصول النجديات عن طريق البر بسبب عدم قدرة سكان بلاد الغال على إختراق الطرق التي يقطعها الرومان. أما عن طريق البحر فلم يستطع الإستيلاء على المدن الساحلية لمقاطعة كمبانيا، وإذا كانت عدة موانئ في الجنوب الإيطالي تحت سيطرته، فإن الميناء الصالح هو ميناء تاروننتة (Tarrente) لكن تتحكم فيه حامية رومانية، كما أن النقص الملحوظ في الملاحاة القرطاجية يجعل عملية نقل هذه الجيوش مليئة بالمخاطر⁴.

في سنة 209 ق.م حاول حنبعل نجدة مدينة كولونيا لكن القائد فابيوس ماكسيموس (Fabius Maximus) تمكن من إسترجاع تاروننتة، بعدما دخلها بالخيانة⁵. وفي سنة 208 ق.م تم إنتخاب كلاوديوس ماركلوس (Claudius Marculus) و كونتوس كريسبوس (Quinctius Crispinus) قنصلين جديدين و كلفا بمهمة خوض معركة حاسمة ضد حنبعل، هذا الأخير الذي عرف كيف يتفوق عليهم خاصة بعد موت القنصل

¹ Baker, G.P., 1952, *Annibal*, 246-183av. j-s, Trad, Lareix, A., Paris, p.149.

² Ait Amara, O., 2009, p.61.

³ حارش، م.ل، 1992، ص.55.

⁴ Appien, *Hannibalique*, trad, Remacle, Ph., Paris, 1808, VI, 34.

⁵ Berlin, F., Geny, E., 1999, *Sur les route d'Hannibal, Paysage de compagnie et d'Apulie*, paris, p.1.

ماركلوس (Marcus)¹. لكن عدم وصول النجذات التي كان ينتظرها حنبعل من قرطاجة و فقدانه السيطرة على إيطاليا دفعته إلى التراجع نحو البرتيوم حتى سنة 206 ق.م دون أخذ أي معركة².

أمام هذا التراجع أخذ حنبعل ينتظر مساعدات حلفائه، و بما أنه عقد حلفا مع الملك فليب المقدوني سنة 215 ق.م وينص على توحيد جهودهما، ويتبادلا المساعدة. لكن تحرش الملك بالامتلاكات الرومانية في إليريا لطرده الرومان³. دفع روما إلى بتعيين فاليريوس لافينيوس (Falbirius Lavinius) ليتولى قيادة الحملة ضد الملك فليب الخامس و توريطه في الحرب المقدونية الأولى 214-205 مع أطراف يونانية.

كما تحالف الرومان مع الحلف الإيتولي المناوئ لمقدونيا عام 212 ق.م، وأمام إزدياد قوة و نشاط الحلف الإيتولي جعل الملك فليب يتدخل للدفاع عن مصالح حلفائه في بلاد اليونان وبالتالي تتخلص روما من الحلف بين حنبعل وفليب خلال هذه الفترة و تصبح عملية حصول حنبعل على المساعدات من الملك المقدوني مستحيلة⁴.

أما في صقلية فكان الملك هرون (Heron) محايدا للصراع الروماني القرطاجي ما دام هنالك السلام، لكن بعد وفاته خلفه في الحكم هيرونيم (hieronyme) الذي إنتهج سياسة مغايرة⁵، حيث أرسل مباشرة وفد إلى إيطاليا للتفاوض مع حنبعل⁶.

و ما أن وصل الخبر الى روما أرسل الرومان الموجودين في (Lilybée) مبعوثين إلى هيرونيم الذي كان يتفاوض مع القرطاجيين، فسألوه عن سبب تغيير موقفه، فأجابهم بأنه غيره بعد تفكير طويل و أن سبب ذلك راجع إلى إرسال روما لقوات بحرية تقدر بخمسين سفينة وصلت حتى (Cap Pachynos) وذلك بعد وقت قليل من موت جده. لكن رد

¹ Polybe, X, 5, 32.

² TiteLive, XXVIII, 12.

³ طراد، إن، 2004، ص. 222.

⁴ محمد السيد، ع، غ، 2005، ص. 382.

⁵ Mommsen, T., 1865, p. 176.

⁶ Bloch, R., 1960, *L'Italie et Rome jusqu'au début de la République*, Paris, p. 58.

الرومان كان عكس ذلك حيث رجعو سبب هذا الأمر إلى خوفهم على حفيد الملك هيرون الذي سخلفه على العرش بسبب صغر سنه وأن ثورة ستحدث في سراكوزة. لكن بعد معرفتهم أن هيرون عل قيد الحياة أرجعو سفنهم لذلك الرومان على صواب في تفكيرهم تجاه هذا الملك الصغير في حمايته ومساعدته على الاحتفاظ بالعرش. لكن و بعد تأني و تفكير الملك هيرونيم قال لهم: "يالرومان فالتألمو، أما أن فسأحافظ على عرشي و أغير موقفي، وأعلق أمالي مع قرطاجة"، بهذا يكسب حنبعل سراقوسة كحليفة جديدة¹.

أمام هذه الأوضاع أرسل مجلس السناتو سنة 214 ق.م جيشا إلى صقلية بقيادة القنصل ماركوس قلاوديوس مارقلوس (Marcus Claudius Marcellus) وتخلص من أتباع سراقوسة، ثم حاصر هذه المدينة حصار شديد لكنها قاومت بفضل إستحكامها والوسائل التي كان يبتكرها العالم أرخميدس ابن هذه المدينة، ولم يستولي الرومان على هذه المدينة حتى سنة 211 ق.م بفعل الخيانة، حين لقي أرخميدس حتفه بعدما كان يفكر في رسم خطته على الأرض فاقترب منه جندي روماني و أراده قتيلا².

رغم إرسال قرطاجة جيشان يضمن ثمنية وعشرين ألف مقاتل وعددا من الفيلة لدعم سراقوسة إلا أن هذه الجيوش لم تتمكن من خوض المعركة حيث إستولى الجيش الذي كان تحت قيادة حملكون على أقريجنت (Agrigent)³، أما بوملكار فوصل فقط أمام هذه المدينة، لكن بعد إصابة الجيش الأول بالوباء، عاد الجيش الثاني بقيادة بوملكار (Bomilcar) إلى قرطاجة وأخذ معه مئة وثلاثين قادسا لأكريجنت لمساندة موتين (Muttine)، لكن هذا الأخير خان القرطاجيين مما أدى إلى إبادة الجيوش البونية وإنهاء الحرب في صقليا⁴.

أمام تراجع حنبعل نحو الجنوب في إيطاليا، وعدم مجئ الملك المقدوني لنجدته، والإخفاق

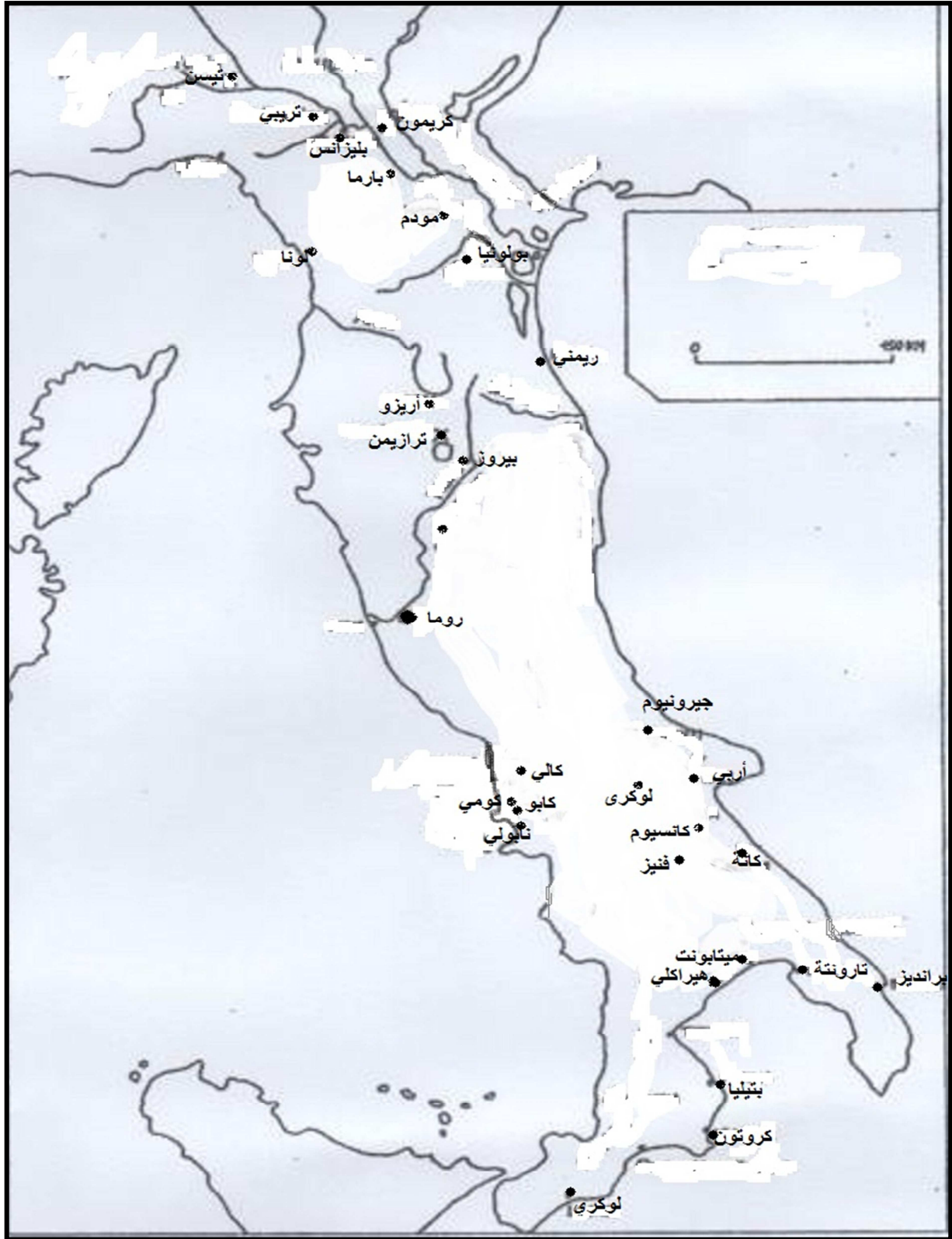
¹ Polybe, VII, 2, 3.

² طراد، إن، 2004، ص. 224.

³ Baker, G, P., 1956, p ; 173.

⁴ قزال، س، 2007، ص. 149.

في سردينيا و صقلية، تتجه أنظار الرومان نحو الهضبة الإيبيرية، خاصة و أن مجلس السناتو الروماني أرسل منذ اللحظة الأولى لإعلان الحرب ضد قرطاجة، جيشا إلى إسبانيا بقيادة الأخوين سكيبيون. ففي ظل تراجع السيطرة القرطاجية في إيطاليا فإن إسبانيا شهدت صراعا كبير خاصة ما حققه الرومان من تقدم في عدد من المواقع و إحرازهم لعدة إنتصارات .



خريطة رقم(4): تبين أهم المناطق و المواقع في إيطاليا

Le Bohec,Y.,1996,p.169.

الفصل الثالث

الحرب في إسبانيا

206-217 ق.م

الحرب البونية الثانية في إسبانيا 217-206 ق.م:

- 1- إجتياز الرومان لنهر الإبيرو سنة 217 ق.م.
- 2- سيطرة الرومان على ساغونته سنة 216 ق.م
- 3- معركة موندا 214 ق.م.
- 4- تحالف الرومان مع سفاكس سنة 213 ق.م
- 5- موت الأخوين سكيبيون سنة 211 ق.م.
- 6- بوبليوس كورنيليوس سكيبيون قائد الجيوش الرومانية في إسبانيا سنة 210 ق.م
- 7- السيطرة على قرطاجنة سنة 209 ق.م.
- 8- معركة بايكولا (Baecula) سنة 208 ق.م
- 9- معركة نهر الميتور (Métaure) سنة 208 ق.م.
- 10- معركة إلبا (Ilipa) سنة 206 ق.م

الحرب البونية الثانية في إسبانيا (206-217) :

عندما فشل بوبليوس كورنيليوس سكيبيون (Publius Cornélius Scipion) من الإلتحاق بحنبعل عند نهرالرون (Rhône) عام 218 ق.م ، قرر الرجوع نحو روما وملاحقة حنبعل، و في نفس الوقت إرسال جيشه إلى إسبانيا بقيادة أخيه كايوس (Caius) لإتمام المهمة التي كلفه بها مجلس السناتو، ولقد كانت لهذه القرارات نتائج بعيدة المدى في سير الحرب البونية الثانية .

1-إجتياز الرومان لنهرالإبيرو 217ق.م:

واصل كايوس الحملة على إسبانيا وأخذ سنة 218 ق.م قاعدة له شمال نهر الإبيرو¹، و حقق بذلك ما كان حنبعل يمنع حصوله، حيث أنشأ الرومان قاعدة قوية لعملياتهم العسكرية في الهضبة الإبيرية، إذ بعد نهاية فصل الشتاء قرر هسدربعل (Hasdrubal) الخروج من معسكره الشتوي في قرطاجنة و تجهيز سفنه وجيوشه لمواجهة كايوس، وكان عددها خمسين سفينة حربية إتجه بها رفقة القائد هاملكون من قرطاجنة نحو الإبيرو، أما القائد الروماني أخذ معه خمسة وثلاثين سفينة حربية وجاء من تراكون (Taraccon)* إلى الإبيرو. لما وصل كايوس إلى النهر أرسل سفينتين سريعتين من المارسليين للإستطلاع، واللتان أخبرته أن الجيوش القرطاجية موجودة على مصب نهرالإبيرو².

قرر كايوس مهاجمة الجيوش القرطاجية، التي دخلت معها في المعركة وكانت نتائجها أن أسر الرومان سفينتين قرطاجيتين وحطمو أربعة أخرى، كما أجبرو قادة السفن الأخرى

¹ Grimal,P.,1953,Le siecle des scipions.Rome et l'hellénisme au temps des guerres puniques, Paris,p.77.

*منطقة في إسبانيا تطل على البحر الأبيض المتوسط، أنظر الخريطة رقم (5)،ص.7.
² Pais,E.,1940,Histoire Romaine,des origine a l'achèvement de la conquete 133av j-c,T1,Paris, p.347.

على الهروب بسفنهم نحو الساحل واللجوء إلى المشاة، لكن رغم ذلك إستطاع الرومان الإستيلاء على خمسة وعشرين سفينة قرطاجية أخرى¹.

أمام هذه الأوضاع قرر مجلس السناتو الروماني مواصلة عملياتهم الحربية ضد قرطاجة في إسبانيا، لذلك أرسلو تعزيزات و جيوش إضافية يقدر عددها بعشرين سفينة حربية و ثمانية آلاف جندي، وكلف بوبليوس كورنيليوس سكيببون بقيادتها، هذا الأخير الذي ألحقها بجيوش أخيه كايوس وأخذو يتقدمون حتى عبرو نهر الإبيرو إلى جنوبه². وتعتبر المرة الأولى التي يخترق الرومان هذا النهر بعد المعاهدة التي عقدها مع هسدر بعل سنة 226 ق.م، بعد هذا الإجتياز وصل الرومان تقدمهم حتى وصلو إلى أطراف مدينة ساغونته (Sagonte) وأنشأو هناك قاعدة عسكرية على بعد 40 ستاد من المدينة قرب مكان يسمى ألفروديت (Alphrodite)، وغرضها تأمين إمداداتهم من البحر وكذا صعوبة مهاجمتهم من طرف هسدر بعل³. هذا الأخير الذي أصبحت مهمة الإلتحاق بشقيقه حنبعل أكثر صعوبة بعد فقدان السيطرة على نهر الإبيرو⁴.

2-سيطرة الرومان على ساغونته 216ق.م:

لقد رأينا سابقا أنه عندما قرر حنبعل القيام بالحملة على إيطاليا، أعطت له المدن الإيبيرية التي كان يشكك فيها أحسن أبنائها، هؤلاء الذين أخذهم حنبعل إلى ساغونتوم التي كانت محمية من طرف القرطاجيين ورجال لهم ثقة بحنبعل⁵. كان من بين هؤلاء الإيبيريين شخص يدعى أبيليكس (Abilix)، هذا الأخير كان يتبع كل خطوات الرومان والقرطاجيين في إسبانيا، لذا عندما رأى أن الجيوش الرومانية لها الأفضلية في ربح المعركة ضد

¹ Polybe, III, 3, 96.

² دوكري، ف.، 1994، ص. 189.

³ Pais, E., 1940. p. 348.

⁴ Tite-Live, XXIII, 29, 16.

⁵ Polybe, III, 2, 33.

القرطاجيين قرر القيام بعملية تسليم الرهائن الإيبيريين إلى الرومان، لهذا أخذ ينتظر الفرصة المواتية لتنفيذ خطته¹.

أرسل هسدر بعل الجنرال بوستار (Bostar) لمنع الجيوش الرومانية من التقدم نحو ساغنتوم، لكن عدم كفاءة هذا الأخير جعلت مهمته غير ناجحة، فراجع إلى الوراء نحو ساغنتوم. أمام هذا الإخفاق تقدم أبليكس نحو بوستار و أخذ يكلمه حول مصير الرهائن و اجتياز الرومان لنهر الإبيرو. أمام هذا الضغط قرر بوستار إجلاء الرهائن من المدينة و إرجاعهم إلى الأهالي حتى يعترف به كل الإيبيريين، ويقف أمام مشاريع سكيبيون الهادفة إلى ربح وُد الإيبيريين، لهذا قرر تكليف أبليكس بهذه المهمة².

قرر أبليكس الذهاب بعدما إتفق مع بوستار عن الوقت الذي سوف يرجع لأخذ الرهائن، ومع الليل توجه أبليكس إلى معسكر سكيبيون الذي إستقبله و شرح له مشروعه الهادف إلى أخذ الرهائن و تسليمهم إلى الرومان، ولقد قبل سكيبيون بالمشروع و وعد القائد الإيبيري بالمكفاءة، لذلك إتفقا على الزمان و المكان الذي سيستقبلون فيه الرهائن.

ذهب أبليكس إلى بوستار الذي قدم له الرهائن ثم غادر مدينة ساغنتوم ليلا بدعوة أنه سيتفادى رؤيته من طرف الرومان، وبعد عبور العديد من المسالك وصل أبليكس إلى المكان المتفق عليه مع سكيبيون و قدم له كل الرهائن، بعدها كلف سكيبيون بعض جنوده بإرجاع الرهائن إلى أهلهم، أما أبليكس فأخذ يتنقل من مدينة إلى أخرى و يوضح نوايا و رغبة الرومان، كما طلب من الإيبيريين عقد أحلاف مع سكيبيون³.

3- معركة موندا (Munda) 214ق.م:

أمام هذا الإنجاز أخذ الأخوين يتقدمين في إسبانيا، الأمر الذي فرض على هسدر بعل الدفاع عن فتوحات القرطاجيين في شبه الجزيرة الإيبيرية عوض قيادة الجيوش إلى إيطاليا

¹ Polybe, III, 3, 98.

² Polybe, III, 3, 98.

³ Polybe, III, 3, 99.

فبتالي منع وصول الإحتياط الذي كان يعتمد عليه حنبعل أكثر في إسبانيا¹. في نفس الوقت قررت الحكومة القرطاجية أن ترسل النجديات التي طلبها حنبعل، لذا أرسلت القائد ماقون إلى إسبانيا مع الجيوش التي طلبها، كما أخذ جيوش أخرى مكلفة بالدفاع عن الهضبة الإيبيرية بعدما ظنت أن هسدر بعل توجه إلى إيطاليا². لكن هذا الأخير مع أخيه ماقون إلتقوا بسكيبيون في منطقة موندا (Munda) (أنظر الخريطة رقم 5، ص. 57) ودخلو معه في المعركة التي خسر فيها القرطاجيين ثمانية آلاف جندي وإحدى عشر فيلا، كما قتل القائدين الغاليين منياسبتوس (Méniaceptus) وفيسماروس (Vismarus)³.

4-تحالف الرومان مع سفاكس 213 ق.م:

بعد هذه الإنتصارات وصل الرومان إلى الواد الكبير (Guadalquivir)*، و عقدوا حلفا مع سفاكس ملك مملكة نوميديا الغربية سنة 213 ق.م⁴، حيث أرسل الأخوين سكيبيون وفد يضم ثلاثة أعضاء ليطلبون التحالف من سفاكس ملك نوميديا الغربية، هذا الأخير الذي قبل بذلك شرط أن يرسل الرومان قادة عسكريين ليدرّبوا النوميديين على أساليب القتال، هذا الطلب الذي قبله الوفد مباشرة حيث تركوا القائد ستاتور يوس (Statorius) ليعلم جنود سفاكس أساليب وطرق الحرب، كما أنشأ جيشا من المشاة وفقا للأساليب الرومانية، ومع التحالف النوميدي الروماني ترك عدد كبير من النوميديين الجيش القرطاجي في إسبانيا و إلتحقوا بالجيش الروماني⁵.

¹قزال،س.،2007،ص.141.

²قزال،س.،2007،ص.143.

³Tite-Live.,XXIV,42,8.

*الواد الكبير: نهر ينبع من المناطق الداخلية من إسبانيا ويصب في البحر الأبيض المتوسط، أنظر:

Pais,E.,1925,Leçon sur les guerres puniques,Revue africaine,v66,p.61.

⁴حارش،م.ل.،1995،التاريخ المغربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى غاية الفتح الإسلامي، الجزائر،ص.68.

⁵Tite-Live.,XXIV,48,1-10.

5- موت الأخوين سكيبيون 211 ق.م:

في سنة 211 ق.م أحرز هسدر بعل مع أخيه ماقون وقائد آخر يسمى هسدر بعل بن جسكون (Hasdrubal Fils de Giscon) إنتصارا هاما على الرومان، حيث إفترق الأخوين سكيبيون لمهاجمة الجيوش القرطاجية لكنهما مات خلال المعركة مع عدد من رجالهم مما دفع الرومان يتراجعون إلى شمال نهر الإبيرو، أما القرطاجيون فأخذوا يستعيدون من جديد لحملة أخرى نحو إيطاليا¹. ورغم إرسال مارسيلوس (Marcellus) و كلاوديوس نيرون (Claudius Nero) إلى إسبانيا بجيش يضم عشرة آلاف من المشاة و ألف فارس لكن ذلك لم يمنع من تقدم القرطاجيين نحو شمال الإبيرو². وهناك العديد من المؤرخين يرجعون موت الأخوين سكيبيون إلى عدم تزويدهم بالدعم من روما، خاصة وأن الأخوين سكيبيون يحصلان على الدعم من بوستيميوس (Postimius) و بومبينيوس (Pompinus) ما جعل روما تعتبرها مؤسسة خاصة لذلك أصدرت حكما ضد بوستيميوس أما بومبينيوس مات على يد القرطاجيين لذلك تراجع الإبيريين عن الرومان و تركوا الأخوين يموتان³.

¹الصفدي، هـ، 1967، ص. 168. قزال، س.، 2007، ص. 150-151.

²Appien, *Ibrique*, Trad, Coumbes-Dounous, 1808, Paris, III, 17.

³Picard, G-C., Picard, C., 1970, *Vie et mort de carthage*, France, p.252.



خريطة رقم (5): تبين موقع معركة موندا والوادي الكبير.

Le Bohec, Y., 1996, p. 159.

6-بوبليوس كورنيليوس سكيبون قائد الجيوش الرومانية في إسبانيا

210ق.م:

بعد موت الأخوين سكيبو سنة 211 ق.م، و تراجع الجيوش الرومانية إلى شمال الإيبرو تحت الضغط القرطاجي والنوميدي بقيادة الملك ماسينيسا، تم تعيين القائد بوبليوس كورنيليوس سكيبون(أنظر الشكل رقم6،ص.) برتبة بروقتصل(Proconsul) ليقود الحملة على إسبانيا سنة 210 ق.م¹، و توجه إلى إسبانيا بجيش يقدر بعشرة آلاف من المشاة وخمسمئة من الفرسان وتسعة وعشرين سفينة حربية²، رافقه خلال هذه الحملة أخوه لوكيوس (Lucius) زميله لايوس(Laelius) و البريتورماركوس جونيوس سنانوس(Marcus Junius Silanus)³. وبمجرد وصولهم إلا الهضبة الإيبيرية أخذ سكيبون في تنفيذ مخططة الهادف إلى السيطرة على المواقع الإستراتيجية للقرطاجيين، إذ ترك قرب نهر الإيبرو القائد جونيوس سنانوس مع ثلاثة مئة من المشاة وخمسمئة فارس لمراقبة حلفاء روما في إسبانيا بينما عبر هو النهر مع جنوده و أخذو يتقدمون نحو قرطاجنة⁴.

لقد إتخذ سكيبون عدة إحتياطات قبل هجومه الجيوش القرطاجية ، و أول شيء هو البحث عن سبب موت أبيه وعمه، الذي تبين أنه ناتج عن إنقسام الجيوش الرومانية في إسبانيا و عن خيانة الشعوب الكلت إيبيرية، كما جمع معلومات حول الشعوب التي تدمرت من السيطرة القرطاجية⁵.

إنقسمت الجيوش القرطاجية الموجودة في إسبانيا إلى ثلاثة أقسام: حيث يوجد القسم الأول بقيادة ماقون في منطقة كونيا عند التورديتانيين(Turditétanie) من أعمدة هرقل،

¹ Meuleau,M.,1965,Le monde et son histoire:le monde antique,t2,Paris,p.156.

أوحارش،م،ل. 1995،ص.68.

² Appien,VI,18.

³ Walter,G.,1947,La destruction de carthage, 264-146 avant j-c,Paris,p.383. Brisson,J-P.,

Carthage ou Rome,Paris,p.247

⁴ Polybe,X,2,6.

⁵ Polybe,III,2,67.

القسم الثاني بقيادة هسدر بعل بن جسكون في لوزيتاني قرب نهر التاج (Tage)، أما القسم الثالث بقيادة هسدر بعل الذي قام بحصار مدينة في أرض الكريتانيين (Vieille-Castille)¹، ويرى بعض المؤرخين أن سبب هذا الانقسام راجع إلى عدم صعوبة تمويل الجيش القرطاجي في أرض محددة و كذا رغبة القادة القرطاجيين في مراقبة الشعوب الإيبيرية التي يشككون فيها، لهذا إبتعدت الجيوش القرطاجية عن قرطاجنة². و لايمكنها الرجوع إليها إلا بعد عشرة أيام من المشي، لذا رأى سكيبيون ضرورة مهاجمة قرطاجنة التي تعتبر قاعدة خلفية للقرطاجيين ويمنعهم من تموين جيوشهم، كما أن السيطرة على ميناء المدينة سيعطي له الفرصة لإنزال أسطول البحر³.

¹ Le glay, M., Le bohec, Y., Voisin, L., 2008, *Histoire romaine*, Paris, p.369.

و حول مواقع هذه الجيوش أنظر الخريطة رقم (5)،

² Brisson, J-P., 1973, p.248.

³ Polybe, X, 2, 7.

7- السيطرة على قرطاجنة 209 ق.م:

لما جمع سكيبيون كل هذه المعلومات عن القرطاجيين، أخذ سنة 209 ق.م في تنفيذ مخططه الهادف إلى هجوم قرطاجنة في إسبانيا(أنظر الخريطة رقم6، ص.74)، مع القائد لايوس الذي كان يقود الأسطول، حيث أخذ سكيبيون جيش يقدر بخمسة وعشرين ألف من المشاة و ألفين وخمسمئة من الفرسان غادر بها تراكون نحو وجهة غير معروفة بالنسبة للجيش لأن سكيبيون حافظ على خطته سرياً¹، بعد سبعة أيام من عبورنهر الإبيرو وصل الرومان إلى قرطاجنة²، ولقد حاول بعض الجنود القرطاجيين بقيادة قائد يدعى ماقون(Magon) و سكان المدينة من الوقوف أمام تقدم الرومان ما أدى إلى حدوث فوضى عارمة و الدخول في معركة، لكن عدم قدرة القرطاجيين في مواجهة سكيبيون ووقوع عدة خسائر في جيشهم و صعوبة تقديم المساعدات دفعهم إلى التراجع نحو قلعة المدينة³.

أمام هذا النجاح قام سكيبيون بمهاجمة القلعة، لكن سكانها و القرطاجيين أغلقو كل الأبواب و المنافذ، ما دفع القائد الروماني إلى إستعمال السلالم للدخول، وهذا ما كان بالفعل حيث إستطاع الرومان دخول القلعة ومهاجمة كل السكان وقتلهم، ولما رأى ماقون أنه لايستطيع المقاومة أرسل موفدين إلى سكيبيون يطلب منه الحفاظ على حياته و يترك له كل الثروات الموجودة في القلعة، وكان رد سكيبيون الموافقة على ذلك⁴.

كان لسقوط قرطاجنة نتائج وخيمة على القرطاجيين والإبيريين، إذ أمر سكيبيون كل سكان المدينة بترك منازلهم وجمع كل غنائمهم، كما سيطر سكيبيون على 18 سفينة قرطاجية، وأسر القائد ماقون وعدد من الرهائن أين يوجد بينهم عضوين من مجلس القدماء

¹ Brisson,J-P.,1973,p.250.

² هذه المدة التي إستغرقها الرومان بين نهر الإبيرو وقرطاجنة محل شكوك،كون الدراسات الحديثة تبين أن المسافة بين هذا النهر و قرطاجنة 4500كلم، كما أن سرعة تنقل جيش في العصور القديمة تتروح بين 25و30كلم في اليوم، ما يجعلنا نفترض أن المدة التي قطع فيها سكيبيون هذه المسافة تتروح بين 15و17 يوم، أنظر :

Brisson.,J-P.,1973,Carthage ou Rome,p.250.

³ Polybe,X,2,12.

⁴ Julien,C-A.,Marsy,M.,1990,Les Africain,t3,Paris,p.222. et Polybe,X,2,15.

و خمسة عشر عضو من المجلس الأعلى ووضعهم تحت مراقبة لايلوس، كما أخذ معه أكثر من ثلاثة مئة إبيرى كرهائن، لكن في نفس الوقت قام سكيبيون ببعض الأعمال التي أراد من خلالها كسب ود و تعاطف الشعوب الإبيرية، إذ وزع بعض الهدايا من الغنائم كما توعد بحماية الرهائن وحققهم في بعث الرسائل لأسرهم، و تعاهد بحماية النساء خاصة بعد توصل زوجة مندوريوس (Mandonius)، أخ أندوبالسن (Andobales) ملك الأليرجيت (Ilérgetes) بالحفاظ عليها وعلى بناتها¹.

بعد كل هذه العمليات أعطى سكيبيون للكوستور (Questeur) مبلغ 600 تالنت التي وجدها في الخزينة العامة القرطاجية وأضافها إلى 400 تالنت التي أتى بها من إيطاليا، كما أسر ألفين جندي كانوا يعملون في المصانع الحربية ووعدهم بالحرية إذا قدموا له المساعدة، وفي نفس الوقت كسب سكيبيون ود الملك الإبيرى مندونيوس (Mandonios) بعدما أرجع إليه سكيبيون زوجته و بناته، بعدها كُلف القائد لايلوس بأخذ الرهائن إلى روما، بينهم القائد ماقون وسبعة عشر سناطورا قرطاجي ليكونوا أدلة على نجاح سكيبيون في إسبانيا².

أما القائد الروماني بقي في قرطاجنة يدرّب جيوشه و الجيوش التي إنضمت إليه وفق منهج دقيق، حيث يقوم في اليوم الأول بجري كل الجنود بسلاحهم لمسافة ثلاثين ستاد، اليوم الثاني مراقبة السلاح، اليوم الثالث: الإستراحة و الإسترخاء، اليوم الرابع: التدريب بالسهم، اليوم الخامس، يعاد الجري مجدداً، و لتزويد هؤلاء بما يريد أنشأ ورشات لصناعة الأسلحة³.

لما رأى سكيبيون جهيزت هذه الجيوش للدفاع عن قرطاجنة، قرر أخذ الجيوش البرية و البحرية و الإتجه إلى مدينة تراكون، أين أخذ معسكره الشتوي و بدأ بتسريح الرهائن لكسب

¹ Polybe,X,2,18.

* الكستور:خزان و هو مكلف بالخزينة المالية العامة في روما، ومع نهاية القرن أصبح حرماتعين أربعة خزانين، إثنين يشرفان على الخزين في روما وإثنين يرافقان القنصلين في حروبهم. أنظر:

Piganiol,A.,1939, *Histoire romaine*,Paris p.93

² Pais,E.,1940,p.370-371.Walter.,G.,1947,p.387.

³ Polybe,X,2,20.

تحالف هذه الشعوب الإيبيرية ، لذا أطلق سراح خطيبة ألو سيوس بعدما كانت رهينة عنده كما أطلق سراح زوجة وأبناء الملك الأيبيري إديكون ملك الإيديتان ، هذا الأخير الذي عقد حلفاً مع سكيبيون¹.

8- معركة بايكولا (Baecula) 208 ق.م:

عند حلول فصل الربيع لسنة 208 ق.م وعودة القائد لاليوس من روما، خرج الرومان من معسكرهم بتراكون وتقدموا نحو هسدر بعل الذي عسكر في بايكولا² (أنظر الخريطة رقم 6، ص. 74)، هذا الأخير لاحظ تقدم الرومان فنقل معسكره إلى بعض المرتفعات ليؤمن الحماية من الخلف بسبب هذه المرتفعات، لكن القائد الروماني عرف كيف يستغل الفرصة حيث أمر المشاة بإجتياز المرتفعات والهجوم على المعسكر، بينما يهاجم هو الجناح الأيسر للقرطاجيين ، أما لاليوس يهاجم الجناح الأيمن³.

لم يتمكن هسدر بعل من التصدي لهذا الهجوم لذلك أخذ عدد من المؤن و بعض القبيلة وعدد كبير من جنوده ودخل بلاد الغال عبر جبال البرانيس، أين وجد بعض الجنود الذين تركهم حنبعل كحاميات وراءه⁴. أما سكيبيون فدخل المعسكر وأمر جنوده بأخذ كل ما يجده، كما أسر عشرة آلاف من المشاة و ألفين من الفرسان، لكن قام بتسريح الرهائن الإسبانيا و إرسالهم إلى وطنهم دون غرامة مالية، أما الأفارقة فلقد تم بيعهم من طرف الكوستور⁵. في اليوم التالي اجتمع كل الإيبيريين وأعطوا لسكيبيون لقب الأمير، لكن هذا الأخير رفض هذا اللقب الغير مسموح به في روما، لذلك أمرهم بإعطاء لقب الجنرال الذي يطلقه عليه جنوده⁶.

¹ Polybe, X, 6, 34.

² Grimal, P., 1953, p. 81.

³ Polybe, X, 6, 39.

⁴ Picard, G.-C., 1967, p. 195.

⁵ Tite-Live, 27, 19, 2.

⁶ Polybe, X, 6, 40. Dion cassius., CCVIII.

في الوقت كان الكوستور يبيع الأفارقة وجد بينهم طفلا صغير يقال بأنه من الأسرة الملكية النوميدية، لذا أرسله إلى سكيبيون الذي سأله عن سبب وجوده في معسكر القرطاجيين، فرد عليه الطفل بأنه نوميدي وإسمه ماسيفا (Massiva)، يتيم لذا قام جده قايا بتربيته، ولما إتجه خاله ماسينيسا إلى إسبانيا رافقه¹.

بعد ذلك طلب سكيبيون من ماسيفا إن كان يريد العودة إلى خاله أم لا، فقبل ماسيفا الأمر وأعطى له سكيبيون خيلا وأمر بعض الفرسان بمرافقته أينما يريد ثم إرساله فيما بعد إلى ماسينيسا². كما أرسل بعض الفرسان إلى البرانيس لمراقبة تحركات هسدر بعل، بينما توجه هو إلى تراكون وأخذ يهيأ لمعسكره الشتوي³. وتعتبر معركة بايكولا إنتصار معنوي لسكيبيون حيث تمكن من وضع حد للمشروع القرطاجي المتمثل في السيطرة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط⁴.

¹ Tite-Live, XXVII, 19, 9.

² Tite-Live, XXVII, 19, 11-12.

³ Polybe, X, 6, 40.

⁴ Picard, G-C., 1956, *Le monde de carthage*, Paris, p.67.

9-معركة نهر ميتور (Métaure) 208 ق.م:

إن إجتياز هسدر بعل لجبال البرانيس وأخذ معسكره الشتوي في بلاد الغال كان مهما جدا له، حيث استطاع تجنيد عدد كبير من سكان هذه البلاد، كون هؤلاء الغاليين قدمو عدة خدمات لحنبعل من قبل. ففي ربيع سنة 207 ق.م إجتاز هسدر بعل جبال الألب، ويرى بعض المؤرخين أن هسدر بعل إرتكب خطأ كبير في التوقف في بلاد الغال ومحاصرة بليزانس (Plaisance)، حيث أعطى لروما متسعا من الوقت لتنظيم جيشين لمقاومة القرطاجيين في الشمال و الجنوب¹. فعندما تم إنتخاب القناصل في روما سنة 207 ق.م، أرسلهم مجلس السناتو الروماني مباشرة ضد القرطاجيين، حيث كلف القنصل كلاوديوس نيرون (Caius Claudius Nero) بمراقبة تحركات حنبعل بينما لفيوس سلبيناطور (Livius Salinator Marcus) أرسل إلى الشمال لإيقاف تقدم هسدر بعل .

إستطاع هسدر بعل التقدم نحو منطقة أمبري (Ombrie) وأصبح قريبا من القنصل سلبيناطور، لكن الموفدون الذين أرسلهم هسدر بعل (Hasdrubal) لأخيه حنبعل للإلتحاق به، إعترضهم القنصل الروماني نيرون²، هذا الأخير الذي نفذ أهم خطة في هذه الحرب بأن ترك قسما من جيشه لمراقبة حنبعل، بينما توجه هو مع سبعة آلاف جندي للإلتحاق بالقنصل سلبيناطور الذي كلف بقطع الطريق أمام هسدر بعل³. وفي نهر ميتور (Métaure)⁴ (أنظر الخريطة رقم 7، ص. 77) إلتقى الجيش الروماني الذي بلغ عدده حوالي سبعين ألف جندي مع جيش هسدر بعل الذي يضم ثمنة واربعين من المشاة وثمانية آلاف فارس وخمسة عشرة فيلة⁵.

¹ Yonoski, J., 1844, p.90.

² Soren, D., Ben abd ben khader, A., Slim, H., 1994, *Carthage, splendeur et décadence d'une civilisation*, Paris, p.133.

³ Duruy, V., 1855, p.136.

⁴ ميتور: يعرف اليوم بإسم Métauro أو هو نهر صغير في إيطاليا الوسطى ويصب في نهر الأدرياتيک، ويبلغ طوله 110 كلم، وعليه وقعت معركة ميتور التي قتل فيها هسدر بعل. أنظر: العسلي، ب.، 1980، ص. 87. ونلاحظ أن هذه المعركة وقعت في إيطاليا، لكنها إستمرار للأحداث التي وقعت في إسبانيا، لذلك أدرجتها في هذا الفصل.

⁵ Hennebert, E., 1891, p.306. et Appien, VIII, 52.

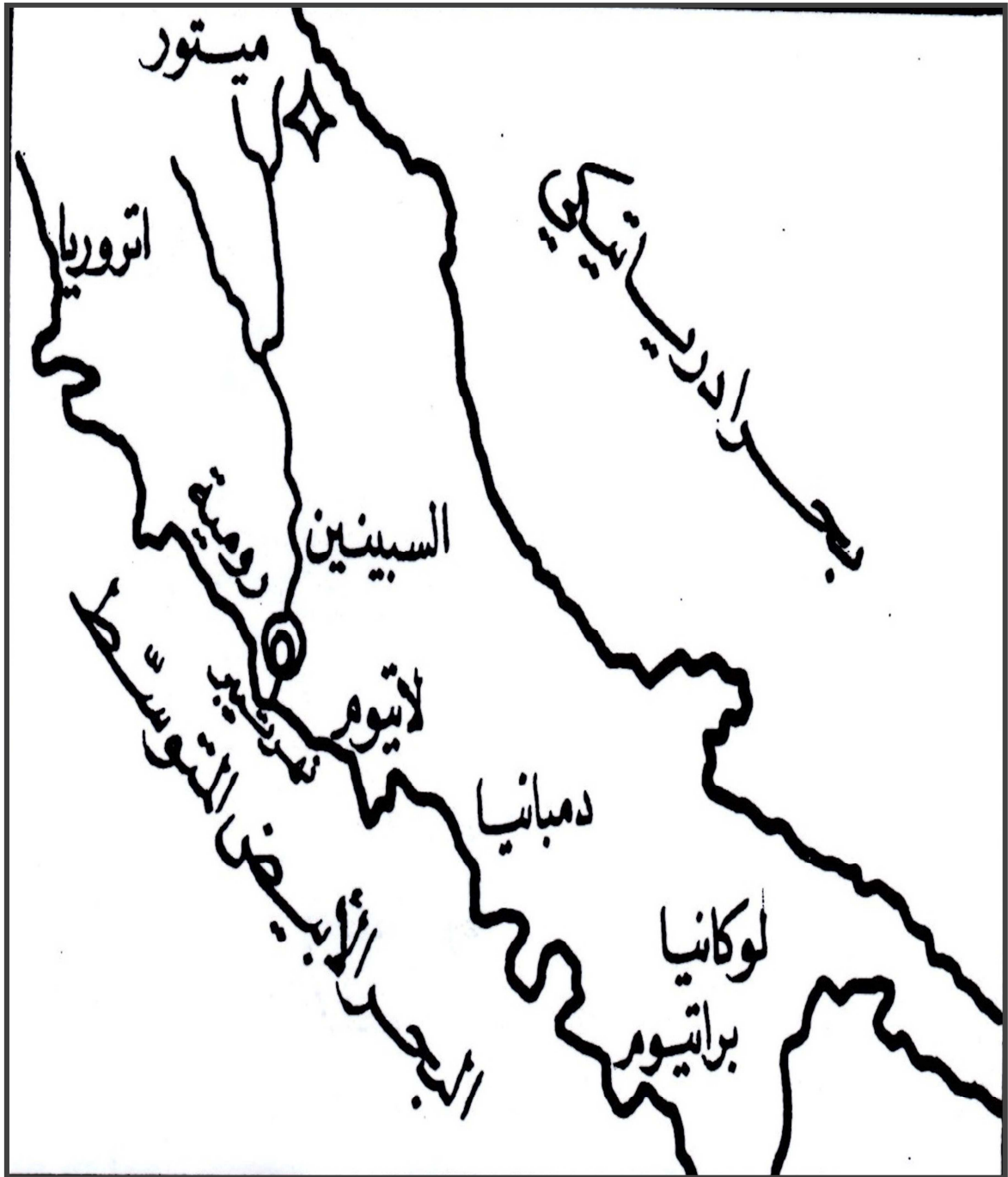
لقد أُجبر هسدر بعل على خوض المعركة، التي كانت نتائجها ثقيلة على قرطاجة¹، إذ بلغ عدد القتلى القرطاجيين عشرة آلاف بينهم القائد هسدر بعل²، أما الرومان فلم خسرو سوى ألفين من جنودهم، كما نهبو وأحرقو معسكر القرطاجيين، ضف إلى ذلك بيعهم الرهائن الذين جلبوا للخرينة العامة الرومانية أكثر من 300 تالنت (Talent)³. وبعد أيام أخذ نيرون رأس هسدر بعل و رماه في معسكر حنبعل⁴.

¹ Segur, L-P., 1848, *Histoire romaine depuis la fondation de rome jusqu'à la fin de règne de constantine*, Paris, p.221.

² Appien, VIII, 52. أو السعدني، م، إ.، 1998، حضارة الرومان منذ نشأة روما حتى نهاية القرن الأول ميلادي، ط1، القاهرة، ص. 94.

³ Polybe, LXI, 2, 3.

⁴ Florus, II, 6. Babelot, E., 1896, *Carthage*, Paris, p.39.



خريطة رقم (7) تبين ميدان وقوع معركة ميتور.

العسلي، ب. 1980، ص.

10-معركة إلبا (Ilipa) 206ق،م:

أرسلت قرطاجة قائد يدعى حانون (Hannon) رفقة القائد ماقون إلى إسبانيا لتجنيد المرتزقة بين الكلت إبيريين، لكن القائد الروماني جوليوس سيلانوس أعاق مهمتهم و أسر حانون، وفي نفس الوقت عقد حلفا مع ملك كلتي يدعى كوليشا (Culcha) هذا الأخير الذي يحكم ثمانية وعشرين مدينة إبيرية¹.

في ربيع 206 ق.م قام هسدر بعل بن جسكون بإخراج جيوشه من معسكرهم والمقدرة بأكثر من خمسين ألف من المشاة وأربعة آلاف من الفرسان وإثنا وثلاثون فيل وتقدم بها نحو منطقة إلبا، أما سكيبيون فلقد أخذ جيوشه و تقدم نحو منطقة كاستلو في نواحي بايكولا، أين إلتقى جونيوس سيلانوس²، والملك الإيبيري كوليشا الذي أعطى له ثلاثة آلاف وخمسمئة جندي، فبلغت بذلك جيوش سكيبيون خمسة وأربعين ألف من المشاة وثلاثة آلاف فارس، أمام كل هذا الحشد قرر سكيبيون التقدم نحو معسكر القرطاجيين³.

لما رأى ماقون تقدم الجيوش الرومانية نحوه، أخذ معه بعض الفرسان و ماسينيسا والنوميديين لمهاجمة سكيبيون لكن هذا الأخير استطاع رد هذا الهجوم بإرسال بعض الفرسان الذين هاجمو بدورهم ماقون من الورا، لذا تراجع هذا الأخير نحو معسكره⁴.

بعد ذلك أخذ كل طرف يهيأ نفسه للمعركة*، حيث رتب هسدر بعل و ماقون جيوشهم على النحو التالي:

وضعوا الإفريقيين في الوسط والإبيريين على الجناحين، بينما المشاة في الأمام، وخلف

¹ Le glay,M, Le bohec,Y,Voisin,L.,2008,p.379.

² Polybe,LXI,5,20.

³ Le glay,M, Le bohec,Y,Voisin,L.,2008,p.379.

⁴ Polybe,LXI,5,21.

المشاة توجد الفيلة. أما سكيبيون وضع الإبيريين في الوسط أما الرومان على طرفي الإبيريين، أما المشاة فوضعها في الصف الأمامي والفرسان على الأجنحة¹.

أما القيادة عند الرومان فكانت كما يلي: تولى سكيبيون قيادة الجناح الأيمن بينما تولى ماركوس سبتنوس (Marcus Séptenius) وجونيوس سلانوس (Juniu Silanus) قيادة الجناح الأيسر، أرسل سكيبيون بعض الفرسان لإثارة القرطاجيين الذين دخلوا مباشرة في المعركة، لذا هاجم الجناح الأيسر الروماني الفرسان القرطاجيين بينما رماة الرماح هاجمو الفيلة التي أحدثت خسائر كبيرة بين القرطاجيين أكثر من الرومان، هذا ما أحدث خلل بين الإفريقين الموجودين في الوسط إذ حاصروهم الرومان من الجناحين و الإبيريين من الأمام حتى أصبحوا غير قادرين على الفرار، فبدأوا في التقهقر والتراجع أمام تواصل هجمات الرومان، أمام هذا الضغط تراجع ماقون و هسدر بعل إلى معسكرهم².

كانت نتائج معركة إلبا وخيمة على القرطاجيين حيث قتل خمسة عشر ألف من جنودهم بينما لم يخسر روما سوى ثمانية آلاف³، و يقول بوليبي أنه: "لولا تدخل العناية الإلهية لما تم إبادة الجيوش القرطاجية". أمام هذا الإنتصار زحف سكيبيون نحو المدينة وقام بنهبها و تدميرها كما قتل كل سكانها⁴.

بعد هذه الهزيمة تراجع القرطاجيين نحو قادس وحاولو إعادة تنظيم جيوشهم من خلال القائد ماقون، الذي قام بتجنيد بعض الأهالي من الغاليين و الليقوريين وحاول الإستيلاء على قرطاجنة لكن دون جدوة لذا رجع إلى مدينة قادس هذه الأخيرة التي صدت عنه الأبواب⁵، وتوجه إلى مدينة إبيزا و منها إلى جزر البليار (Iles Baleares) التي قضى فيها فصل الشتاء⁶.

¹ Le bohec, Y., 1996, p.237.

² Polybe, XI, 5, 23.

³ Le bohec, Y., 1996, p.237.

⁴ Polybe, XI, 5, 24.

⁵ تسييركين، ي، ب، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ترجمة، أبي فاضل، ي، ط1، بيروت، 1988، ص. 255.

⁶ Pais, E, 1940, p.383-384.

أما سكيبيون فبعد أن حقق هذا النجاح في شبه الجزيرة الإيبيرية من خلال السيطرة على كامل المواقع التي كانت تحت السيطرة القرطاجية، وحرمان حنبعل من الإمدادات التي كان ينتظرها¹، عاد إلى روما سنة 205 ق.م وأنتخب قنصلاً، وأصبح يعد للحملة على إفريقيا².

¹ يحي لطفى، ع، ا، 2006، تاريخ اليونان والرومان، بيروت، ص. 267.
² حارث، م، ل، 1995، ص. 56.

الفصل الرابع

الحرب في إفريقيا
(201-204 ق.م)

الحرب في إفريقيا

- 1- حملة سكيبيون على إفريقيا 204 ق.م.
- 2- المفاوضات بين سكيبيون والقرطاجيين .
- 3- معركة السهول الكبرى 203 ق.م.
- أحداث المعركة
- نتائج المعركة.
- 4- عودة حنبعل إلى إفريقيا.
- 5- معركة زاما 202 ق.م .
- أسباب المعركة
- أحداث المعركة
- نتائج المعركة.
- 6-أثر معركة زاما.

في خريف عام 206 ق.م عاد بوبليوس كورنيليوس سكيبيون إلى روما، و كانت كل الأنظار موجهة نحو هذا القائد نظرا لما حققه من إنتصارات في شبه الجزيرة الإيبيرية، و رغم معارضة فابيوس و أنصاره الإعتراف بأعمال القائد سكيبيون إلا أن هذا الأخير أنتخب قنصلا لسنة 205 ق.م، و أسندت له مقاطعة صقليا مع أولوية نقل الحرب إلى إفريقيا إن رأى ذلك ملائما¹، لكن قلة الإمكانيات كانت عائقا أمام مشروعه الهادف إلى نقل الحرب إلى إفريقيا، ضف إلى ذلك معارضة عائلة فابيوس (Fabius)، نظرا لما تخشاه من هذا القائد الطموح الذي قد يجلب المتاعب لروما، و بالفعل هذا ما حدث إذ قام سكيبيون بعملية ضد ميناء لوكري (Locres) الذي نجح في إحتلاله بعد قتال عنيف، مستفيدا من تواطؤ بعض السكان و بمساعدة الأسطول الروماني، ما أدى إلى إنسحاب الحامية القرطاجية لعدم تلقها مساعدات من حنبعل².

وُضع هذا الميناء و المدينة تحت قيادة الوصي بليمنيوس (Pléminius)، هذا الأخير الذي سلمها للقادة العسكريين الغير نظاميين الذين إرتكبوا الكثير من التجاوزات على السكان، ما دفع اللوكرانيين أهل المدينة إلى تقديم شكوة لمجلس الشيوخ الروماني، طلب خلالها فابيوس كونتاتور (Fabius Cuntator) و جماعته عزل سكيبيون و إحالته إلى القضاء، لذا أرسلت روما لجنة إلى لوكري للتحقيق فيما حدث هذه اللجنة التي أستقبلت بحفاوة و دُعيّت لحضور مناورات الجيش الروماني هناك، ما أدى إلى عدم إكمال مهمتهم في التحقيق³.

بعدها أرسل سكيبيون سنة 205 ق.م كايوس لايوليوس (Caius Laelius) للقيام بعملية إستكشاف و نهب و تخريب في إفريقيا⁴، فتوجه إلى منطقة هيبو-ريجوس (Hippo) (عنابة

¹ Grimale, P., 1953, p.83-84، أو فرحاتي، ف.، 2007، غوميديا من حكم الملك قايا إلى بداية الإحتلال الروماني 213-46 ق.م، الجزائر، ص. 71.

² لوكري، ف.، 1996، ص. 204.

³ Le bohec, Y., 1996, p.243.

⁴ Tite-Live, XXIX, 1, 14.

حاليا)¹ أين قام بنهب المدينة و بما أن نبأ مجيئه ليس منتظرا، قام القرطاجيون بحشد الجنود للدفاع عن المدينة، بعدما إعتقدو أن سكيبيون هو الذي نزل بجيوشه و ليس لايوس².

لما علم ماسينييسا بمجئ لايوس ذهب لملاقاته مع بعض الفرسان³، حيث جرت بينهما إتصالات⁴، أبدى خلالها ماسينييسا أسفه من تباطئ سكيبيون في العبور إلى إفريقيا كما ألح على ضرورة تنفيذ هذا المشروع بسرعة، خاصة إنشغال الملك النوميدي سفاكس بمحاربة جيرانيه، فبالتالي لا يجب تركه يستعيد قواه لمحاربة روما، أمام هذه الأوضاع أرسلت قرطاجة أسطولا للدفاع عن هيبو ما أجبر لايوس على مغادرة إفريقيا و العودة إلى سكيبيون⁵.

بعد هذا الخطر أنشأ القرطاجيون مراكز للمراقبة على جميع المرتفعات، و أرسلو عدة وفود إلى مختلف الأمراء و الملوك الإفريقيين يطلبون التحالف معهم، خاصة الملك سفاكس (Syfax) ملك الماسيسيليين الذي استطاعوا كسب تأييده بإستخدام زوجته سفونيسبة ابنة هسدر بعل بن جسكون، فبالتالي كسب أهم حليف كون هذا الأخير يعرف سكان المنطقة و طبيعتها⁶.

¹ هيبون: تأسست كمستعمرة فينيقية في القرن 12 ق.م، وسميت Hippo لكن بعد هزيمة قرطاجة خلال الحروب البونية أصبحت مقرا للملوك النوميديين ومنها إكتسبت المدينة صفة الملكية أي Regius و أصبحت تسمى ب Hippo Regius أي هيبو الملكية. أنظر: حامد قادوس، ع، ز. 2003، *أثار العالم العربي في العصرين اليوناني والروماني*، الإسكندرية، ص. 335.

² Tite-Live, XXIX, 4, 3. ف. 2007، ص. 71.

³ يرى غالبية المؤرخين أن ماسينييسا هو الذي دفع سكيبيون إلى نقل الحرب إلى إفريقيا، وذلك بإنزال الجيوش الرومانية في نوميديا الشرقية حيث يكون ماسينييسا في الإنتظار، وبعد رسم هذا المشروع في إسبانيا، توجه سكيبيون إلى روما للحصول على منصب القنصلية بينما توجه ماسينييسا إلى الملك الموريطاني باغا ثم توجه إلى نوميديا الشرقية. حول الموضوع أنظر: شنتي، م، ال. 1982، *سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا (146-40 ق.م)*، الجزائر، ص. 27. أو الميلي، م. 1946، *تاريخ الجزائر في القديم و الحديث*، ج1، لبنان، ص. 179.

⁴ غانم، م، ال. 1998، *المملكة النوميديّة والحضارة البونية، الطبعة الأولى*، الجزائر، ص. 79.

⁵ قزال، س. 2007، ص. 187.

⁶ Monique, J-H., 2006, *Les rois numides et la conquête de l’afrique du nord par les romaines*, Paris, p.17.

1- حملة سكيبيون على إفريقيا 204 ق.م:

في سنة 204 ق.م أخذ سكيبيون في تنفيذ مشروعه الهادف إلى نقل الحرب إلى إفريقيا، إذ بدأ بحشد الجيوش الرومانية في ليلبي (Lilypée) والتي تقدر بخمسة و ثلاثين ألف جندي بين المشاة و الفرسان¹، و لقد تم نقل هذه الجيوش على ظهر أربعمئة و عشرين سفينة حربية، حيث غادر سكيبيون صقليا أمام حشود هائلة من السكان المحليين الذين جاؤو لمشاهدة هذا المنظر العظيم الذي لم تشهده سواحل هذه المدينة من قبل².

بعد إستكمال التجهيزات شرعت الجيوش الرومانية في الإبحار، حيث حمل سكيبيون على ظهر السفن الماء و المؤن ما يكفيه لمدة خمسة و أربعين يوما، و رافقه خلال هذه الحملة أخوه لوكيوس (Lucius) و لايليوس (Laelius)، ماريوس بوركيوس كاتو (Marius Porcius Cato) المتصرف المالي آنذاك، ولما إنطلقت عملية الإبحار أعطيت الأوامر بالإتجاه نحو الأمبوريات (Emporia) أي خليج قابس نظرا لخصبة هذه الأخيرة و غناها بكل أنواع الخيرات كما أن سكانها مسالمون ما يسهل عملية إخضاعهم، لكن هبوب رياح شديدة أبعدت الأسطول عن الساحل الصقلي و أدخلته في ضباب كثيف إستمر حتى الليل و مع طلوع الشمس ظهر ساحل طويل، فسأل سكيبيون عن إسم أقرب رأس مجاور، فأجابه قادة السفن بأنه الرأس الطيب فصاح قائلا: "هذا فال حسن، إلى هنا سنذهب"، فأتجه الأسطول و نزلت كل الجيوش إلى الأرض³.

بعدها أقام سكيبيون معسكره في الساحل و إستولى على بعض المرتفعات المجاورة، حيث أسر فيها ثمانية مئة رجل من الأحرار و العبيد، كما جمع الكثير من الغنائم وإتجه بعدها إلى شمال أوتيكا⁴، أما ماسينييسا الذي علم بقدوم الجيوش الرومانية، بادر بالإلتحاق بها مع عدد كبير من جنوده إذ يروي تيت ليف أن الحادثة التي بعثت الرضا في قلوب

¹ Saumagne, CH., 1966, *La numidie et rome, massinissa et jugurtha*, Paris, P.68.

² Lancel, S., 1995, *Hannibal*, Paris, p.264.

³ قزال، س، 2007، ص. 186-187.

⁴ دوكري، ف، 1994، ص. 178.

الرومان هو وصول ماسينيسا، فالبعض يقول أنه وصل مع ألفين فارس و البعض الآخر يؤكد وصوله مع قوة تزيد عن مائتين فارس¹.

انتشر خبر نزول الرومان بسرعة، ما خلق إزدحما و هربا بين السكان، أما قرطاجة فأغلقت كل أبواب المدينة و إمتلئت أسوارها بالمدافع، كما كلف هسدر بعل بن جسكون بتنظيم جيش قادر على مواجهة الرومان، و في نفس الوقت أمر بعدم خوض أي معركة حتى وصول القائد النوميدي سفاكس².

لقد تم تجنيد فرقة من الفرسان أسندت مهمة قيادتها إلى حنون ابن هملكار و تضم أربعة آلاف فارس إتجهت نحو ضواحي مدينة سلايكا (Salaeca) القريبة من المعسكر الروماني، لما رأى سكيبيون هذا التقدم أمر ماسينيسا بالهجوم على حنون ثم التراجع إلى الوراء هذه الخطة التي دفعت فرسان حنون يتبعون ماسينيسا حتى وصلوا إلى تلال يوجد فيه فرسان سكيبيون، الذين أحيطوا بحنون و جيوشه من كل الجهات ثم هاجمهم و قتلوا ألف جندي قرطاجي كما أسرو ألفين آخر، حيث يوجد بين القتلى مائتين من الأغنياء و النبلاء القرطاجيين و القائد حنون، بعدها إستولى سكيبيون على سلايكا التي ترك بها حامية ثم على الأراضي المجاورة بعدما قتل سكانها³.

بعد هذا الإنتصار إتجه سكيبيون نحو أوتيكا بعدما أحس بإقتراب فصل الشتاء، و كان هدفه من ذلك هو إحتلال هذه المدينة الهامة لإقامة معسكره الشتوي، لذا فرض عليها حصارا بالأسطول من جهة البحر و بالجيوش البرية التي إستقرت على مرتفع قريب من أسوار المدينة⁴، لكن و بعد أربعين يوما من الحصار و عدد من الهجمات لم يتمكن القائد الروماني من دخول المدينة⁵، نظرا لأسوارها المتينة و تهديده من طرف الجيوش القرطاجية التي جلبها هسدر بعل بن جسكون و المقدرة بثلاثين ألف من المشاة و ثلاثة آلاف

¹ Yanoski, J., 1844, p.92.

² Lancel, S., 1995, p.266.

³ قزال، س، 2007، ص. 191-192.

⁴ حارش، م، ال. 1984، التطور السياسي و الإقتصادي في نوميديا منذ إعتلاء ماسينيسا العرش إلى غاية وفاة يوبا

الأول: 203-46ق.م، الجزائر، ص. 20.

⁵ قرحاتي، ف، 2007، ص. 74.

فارس، ضف إليها جيوش سفاكس التي يقدرها البعض بخمسين ألف من المشاة¹، و البعض الآخر بأكثر من عشرة آلاف من المشاة و عشرة آلاف فارس، أمام هذا الإخفاق تراجع سكيبيون إلى منطقة صخرية تدعى كاسترا كورنليا (Castra Cornelia) و تعرف اليوم بقلعة الأندلس حيث أقام معسكره على بعد عشرة كلم من معسكر هسدر بعل و سفاكس²، أما هذان الأخيرين فكان يبتعدان عن بعضهما البعض بنحو ألف و ثمانية مئة متر، لسهولة الإتصال بينهما³.

2-المفاوضات بين سكيبيون والقرطاجيين:

مع حلول فصل شتاء سنة 204 ق.م جرت مفاوضات بين سكيبيون و سفاكس، حيث أراد سفاكس دفع القرطاجيين و الرومان إلى التفاوض، و ربما الأسباب التي كانت وراء ذلك هي الأوضاع العسكرية الغير ملائمة لقرطاجة، بعد فقدانها السيطرة على شبه الجزيرة الإيبيرية و فشلها في الإتصال بحنبعل⁴، حيث إقترح سفاكس خلال هذه المفاوضات إنسحاب الرومان من إفريقيا مقابل إنسحاب القرطاجيين من إيطاليا، و يحتفظ الطرفين على الأراضي التي سيطروا عليها حتى هذا التاريخ⁵.

قبلت قرطاجة شروط الصلح ربما لأنها غير قادرة على إسترجاع شبه الجزيرة الإيبيرية، صقليا و سردينيا، كما هي مقبولة من طرف روما خاصة و أنها تتخلص من حنبعل و ماقون كما تحتفظ بشبه الجزيرة الإيبيرية التي سيطروا عليها ، و لقد إستمرت هذه المفاوضات لفترة زمنية طويلة لأن سكيبيون كان يفكر في تنفيذ مشروع آخر و هو التجسس على القرطاجيين، الذين بنوا أكواخهم من جذور وأغصان الأشجار، كما أن

¹ Yanoski,J.,p.92.Polybe,XIV,2,1.

² Lancel,S.,1995,p.267.

³ قزال،س.،2007،ص.193.

⁴ شنتي،م،ال.،1982،ص.28.

⁵ Dion Cassius,Histoire romaine,CCXV,trad,E,Gros,Paris,1848. Tite-live,XXX,3,5.

النوميديين هم أيضا بنوا مأواهم من القصب، و أن عدد من كبير من الجنود القرطاجيين يوجدون خارج التحصينات لعدم توفر المكان داخل المعسكر¹.

أمام هذه الوضعية كثف سكيبيون في عملية التجسس على معسكر القرطاجيين بإرسال جنود يرتدون لباس الخدم مع المفاوضين و مهمتهم جمع المعلومات و مراقبة المنشآت الحربية و كل ما يتعلق بمعسكر سفاكس و هسدر بعل².

مع حلول فصل الربيع لسنة 203 ق.م أرجع سكيبيون السفن إلى البحر و أنشأ التحصينات، ثم أرسل مبعوثين إلى سفاكس يخبره بأنه يريد السلام و التحالف معه³، لكن و بمجرد مغادرة الوفد الروماني وصل مبعوثين قرطاجيين يخبرونه سفاكس بأن مجلس الشيوخ القرطاجي يرفض إقتراح سكيبيون، و أن هسدر بعل أعطاه إبنته سفونيسبة مقابل التحالف مع القرطاجيين⁴.

بعدما جمع سكيبيون كل المعلومات المتعلقة بالقرطاجيين و سفاكس و إستعان به ماسينيسا الذي يعرف المنطقة، تظاهر و كأنه يريد إعادة حصار مدينة أتيكا، لذا أرسل ألفين جندي لإحتلال الهضبة التي تطل على المدينة⁵.

هكذا إعتقد هسدر بعل و سفاكس أن الهدف هو حصار أوتيكا غير أن الحقيقة هي مشروع يستهدف معسكريهما، إذ قام سكيبيون في الليل بتقسيم جيشه إلى قسمين و أسند القسم الأول إلى لايلىوس و ماسينيسا، حيث أمرهم بمهاجمة معسكر سفاكس أما هو فيهاجم معسكر هسدر بعل⁶، و هذا ما كان بالفعل حيث أشعل بعض الجنود الرومان النار في معسكر سفاكس ما أدى إلى إندلاع حريق كبير و عمت الفوضى، حيث قتل الجنود حرقا أو ذبحا أثناء محاولتهم الهروب، ثم أشعل سكيبيون النار في معسكر هسدر بعل الذي تكبد

¹ Babelon,E.,1896,p.40. Tite-Live,XXX,3,8. Polybe,XIV,2,1.

² Tite-Live,XXX,4,6.

³ Monique,J-H.,2006,p.17.

⁴ Berthier,A.,1981,La Numidie,Rome et le Maghreb,Paris,p.34.

⁵ Tite-Live,XXX,4,10-12. Polybe,XIV,2,2.

⁶ Polybe,XIV,2,4.

بدوره خسائر أكثر من سفاكس¹، و لقد بلغت خسائر سفاكس و هسدر بعل أربعين ألف قتيل و خمسة آلاف أسيرا، أما القائدين هسدر بعل و سفاكس تمكنا من الفرار و النجاة مع بعض الفرسان².

وصل هسدر بعل إلى أندا (Anda) التي كانت قريبة، منه لكن سكانها أبدوا إستعدادهم للإستسلام للرومان، لذا ترك المكان و دخل قرطاجة مع نحو خمسمائة فارس و ألفين من المشاة³، أما سفاكس فتوقف في أبا (Aba)⁴ عندما إلتقى بجيش يضم أربعة آلاف كلت-إبيري أرسلتهم قرطاجة لمساندته⁵.

أمام هذا الوضع قرر مجلس الشيوخ القرطاجي الإختيار بين طلب الهدنة و التفاوض مع سكيبيون أو دعوة حنبعل للرجوع من إيطاليا، لكن مجموعة أخرى كلفت هسدر بعل بحشد الجنود من جديد، و أرسلوا وفدا إلى سفاكس يطلبون منه مواصلة خدمة قرطاجة⁶.

3-معركة السهول الكبرى أفريل 203ق.م:

تم الإتصال بين القرطاجيين و سفاكس و جمعوا جيش قدره ثلاثين ألف جندي و قررو العودة إلى الحرب، حيث عسكرو في السهول الكبرى و وقع إختيار هذا المكان حتى يتمكن سفاكس من تلقي النجدة بسهولة، أما سكيبيون فأخذ بعض المشاة و الفرسان الإيطاليين و فرسان ماسينييسا، و إتجه لقتال هسدر بعل و سفاكس، حدث هذا اللقاء حوالي منتصف أفريل 203ق⁷.

¹ Florus,II,6.

² Picard,G-C.,Picard,C.,1970,p.262.

³ قزال،س.،2007،ص.198.

⁴ يطلق عليها إسم أوبا،(Obba).Tite-Live,XXX,7,10.

⁵ حارش،م،ال.،1984،ص.21.

⁶ Polybe,XIV,2,6.

⁷ Babelon,E.,1896,p.40.

أحداث المعركة:

رتب سفاكس و هسدر بعل جنودهم للمعركة كما يلي: الوسط وضعوا فيه الكلت-إبيريين، الجناح الأيمن القرطاجيين و في الجناح الأيسر يوجد النوميديين، أما سكيبيون فرتب جيشه على ثلاث خطوط رماة الرماح (Histati) ثم المثنائي (Principes) و المثلث (Triari)، و جعل الفرسان الرومان على الجناح الأيمن و فرسان ماسينييسا على الجناح الأيسر، و مع بداية هذه المعركة تفهقر جنود سفاكس أمام الفرسان الرومان و القرطاجيين أمام ماسينييسا، أما الكلت- إبيريين فقاوموا بشدة لأن الفرار لن ينجحهم من الأرض التي يجهلونها، لذا قتلوا أو أسروا على يد سكيبيون، و لقد تمكن سفاكس من الفرار إلى مملكته أما هسدر بعل إلى قرطاجة¹.

بعد هذا الانتصار عقد سكيبيون مجلس حربيا تقرر من خلاله تقسيم الجيش إلى قسمين، *، القسم الأول بقيادة ماسينييسا و لايلىوس حيث يتابعان سفاكس من أجل إلقاء القبض عليه أما سكيبيون فيقوم بجمع الغنائم و الإستيلاء على المدن المجاورة².

توجه القسم الأول من الجيش الرومان نحو الغرب و طردوا كل حاميات سفاكس و وصلوا مطاردة القائد النوميدي حتى أسره وسلمه حيا لسكيبيون³، ثم أمر لايلىوس القائد النوميدي ماسينييسا بالذهاب إلى سيرتا (Cirta) ** ويستولي عليها⁴، و هذا ما كان بالفعل إذ توجه ماسينييسا إلى سيرتا و قام بمحاصرة المدينة حتى لا يتمكن سكانها من الفرار⁵، أما هو فدخل المدينة مسرعا إلى القصر، حيث توجد سفونيسبة (Sophonisbe) ابنة هسدر بعل بن جسكون و زوجة سفاكس، وبمجرد رؤية الأميرة لماسينييسا توسلت إليه و

¹ Polybe, XIV, 2, 8.

* ألقى القبض على سفاكس في 23 جوان 203 ق.م. انظر حارش، م، ال، 1984، ص. 21.

² Polybe, XIV, 2, 9. Tite-Live, XXX, 11-12. غانم، م، ال، 1998، ص. 81.

³ Dion Cassius, CCXVI.

** يطلق عليها اليوم قسنطينة، أصبحت عاصمة للملك سفاكس ثم عاصمة لماسينييسا بعد هزيمة سفاكس و لتوسع على حساب أراضيها، و لقد عرفت هذه المدينة الإزدهار خلال القرن الرابع مع الإمبراطور قسطنطين حيث كانت معقلا للمسيحية في شمال إفريقيا. أنظر: حامد قادوس، ع، ز، 2003، ص. 295.

⁴ Lancel, S., 1995, p. 270.

⁵ Berthier, A., 1981, p. 41.

طلبت منه عدم تسليمها للرومان، لذا قام ماسينيسا بالزواج منها كي يفى بوعده و يمنع لايليوس و سكيبيون من أخذها كرهينة ما دامت زوجته¹.

لما علم سكيبيون بالأمر، قرر أن تكون سفونيسبة كبقية الأسرى ملكا للشعب الروماني²، أمام هذا القرار أخبرها ماسينيسا أنه لا يستطيع تخليصها من الرومان لكن سيوفي بوعده بأن لا يسلمها للرومان و هي على قيد الحياة، لذا قدم لها كأس يحتوي على السم و شربته فسقطت مباشرة على الأرض، و حرم بذلك الرومان من القبض على زوجة سفاكس حية، و بعد كل هذه المساعدة التي قدمها القائد النوميدي للرومان أطلق سكيبيون على ماسينيسا لقب الملك³.

ذهب لايليوس إلى روما مع بعض الأسرى و سفاكس، و وفد آخر أرسله ماسينيسا إلى مجلس الشيوخ القرطاجي يؤكد فيه منصبه كملك على أراضي أبيه⁴، أما سفاكس فأخذ إلى روما و سجن في البافوكنس (Alba Fucens) ثم نقل إلى سجن تيبور (Tibur) أين مات (أنظر الخريطة رقم 9، ص. 93)⁵.

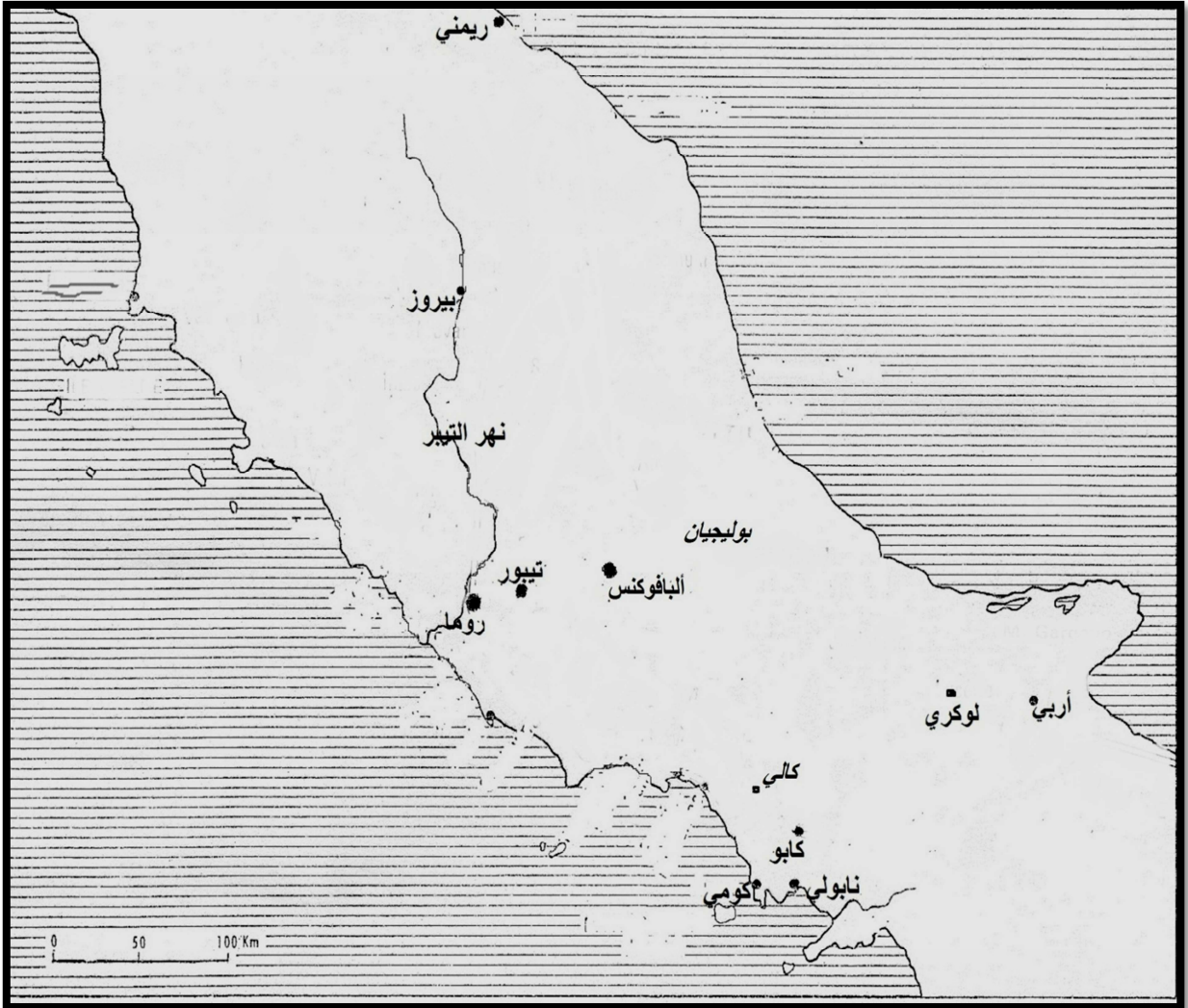
¹ Jean, P., 1962, p. 381-382.

² Berthier, A., 1981, p. 42. Saumagna, Ch., 1966, p. 43.

³ Le peyre, G-G., Pelegrin, A., 1942, p. 112.

⁴ شنتي، م، ال. 1988 قضية السيادة النوميديّة من خلال المصادر القديمة، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، الجزائر، ص. 35.

⁵ قزال، س.، 2007، ص. 207.



خريطة رقم (8) تبين مكان سجن وموت سفاكس.

نقلا عن:

Heurgont, J., 1969, *Rome et la méditerranée occidentale jusqu'au guerres puniques*, Paris, p.322.

-نتائج معركة السهول الكبرى:

بعد هزيمة الجيوش قرطاجية قرر مجلس الشيوخ القرطاجي إرسال وفد يضم ثلاثين عضوا من مجلس القدماء للتفاوض مع سكيبيون و ربما الغرض من ذلك ربح الوقت من أجل إستدعاء حنبعل للدفاع عن قرطاجة، و لقد إشتراط سكيبيون على الوفد القرطاجي شروط قاسية تتمثل في¹:

- تسليم قرطاجة كل الأسرى و العبيد و الفارين من الجيش الروماني.
- إنسحاب الجيوش القرطاجية من جنوب إيطاليا و سهل البو.
- إنسحاب القرطاجيين من شبه الجزيرة الإيبيرية و جميع الجزر الواقعة بين إيطاليا و إفريقيا.
- يسلم القرطاجيين أسطولهم الحربي ما عدى عشرين سفينة.
- يدفع القرطاجيين غرامة مالية قدرها خمسة آلاف تالنت، و يزودون الجيش الروماني بحجاته من القمح و الشعير حتى نهاية معاهدة الصلح².

قبل القرطاجيين شروط الصلح، و حتى الذين رفضوا تظاهروا بالقبول، لكن المفاوضات التي بدأت سنة 203ق،م كانت طويلة، لأن مجلس الشيوخ القرطاجي كان يتشاور مع سكيبيون في موضوع شروط الصلح و في نفس الوقت أسدعيا حنبعل للعودة³.

4-عودة حنبعل إلى إفريقيا

قام مجلس الشيوخ القرطاجي بإستدعاء القائدين البرقيين حنبعل و ماقون، و لقد توفي هذا الأخير أثناء العودة متأثرا بجروحه⁴، أما حنبعل فلم يكن راضيا بطلب قرطاجة نظرا لمكوته خمسة عشر عام يهزم أقوى الجيوش في تلك الفترة، لذا قال: "إن من هزمني لم يكن

¹ رمضان، ت. 1993، معاهدة زاما 201 ق-م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 7، الجزائر، ص. 20.

² Lancel, S., 1995, p. 273. Gaid, M., 1990, p. 81-82.

³ Tite-Live, XXX, 16, 14.

⁴ Tite-Live, XXX, 19, 5.

الشعب الروماني الذي فر في العديد من المرات، بل الفئة الحاكمة القرطاجية الفاسدة"، و
لقد ترك حنبعل لوحة مكتوبة باليونانية و الإغريقية على أحد أعمدة معبد جونون
لاسينيون (Junon Lacinia) روى فيها معاركه منذ إنطلاقه من شبه الجزيرة الإيبيرية
إلى ذلك الوقت¹.

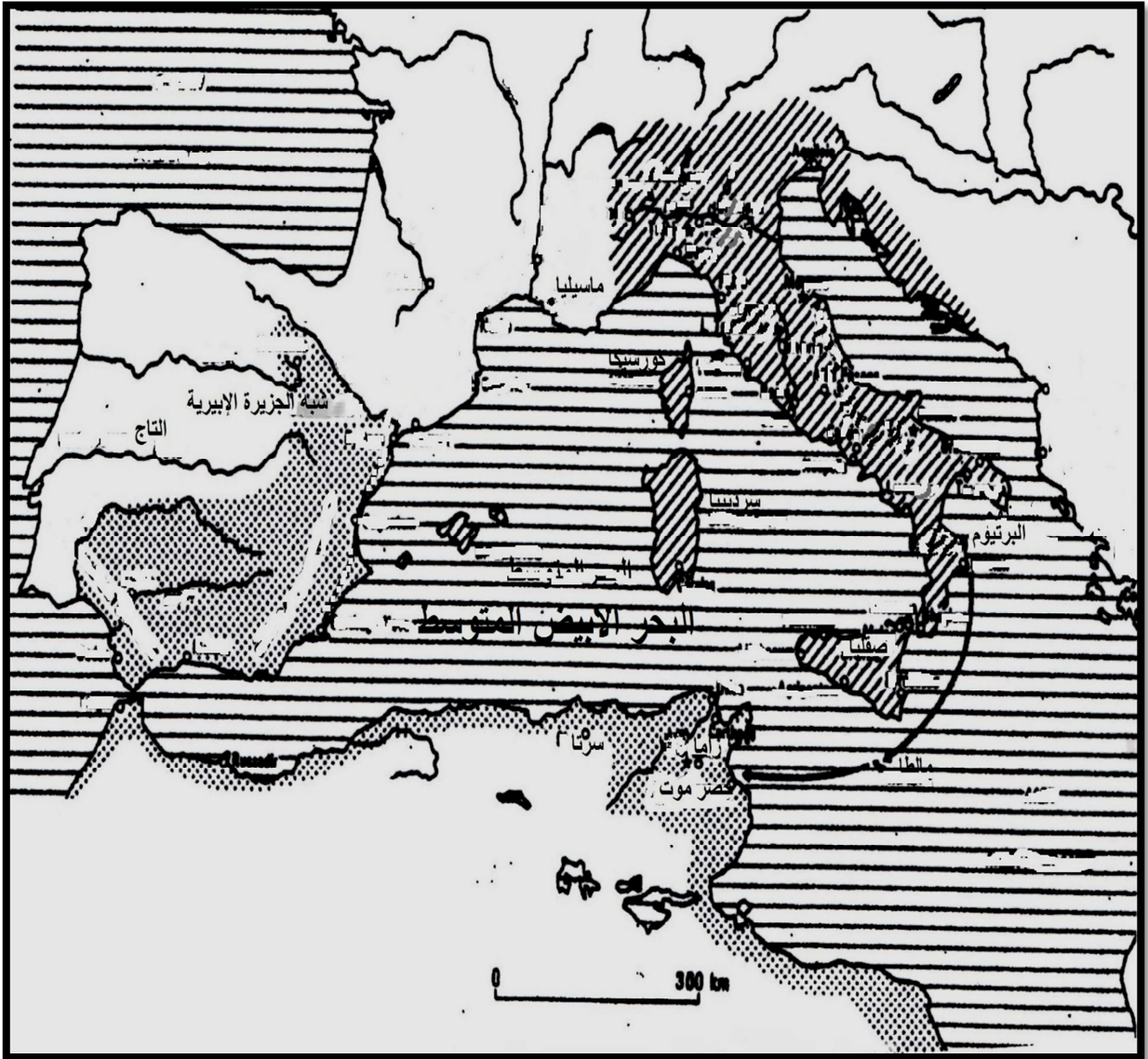
لم يكن أي إنسان حزين عندما يترك وطنه بقدر ما حزن حنبعل عندما ترك أرض
عدوه الرومان أي إيطاليا، خاصة و أن سكيبيون الذي أجبره على العودة إلى قرطاج لم
يراه من قبل في إيطاليا، إذ و بمجرد روكب حنبعل البحر أخذ يلعن نفسه و يشكوا الألهة، و
ينظر إلى السواحل الإيطالية حتى إختفت عن أبصاره².

كان نزوله في لمطة (Leptis minors) على مسافة قليلة من حضر موت (سوسة) التي
دخلها مع جيشه (أنظر الخريطة رقم 9، ص. 94.)، و لقد إختار هذا المكان لسهولة تلقي النجذات
و المؤن، و يكون حرا في تنقلاته و بعيدا عن الحكومة القرطاجية، خاصة و أنه لم يكن
مستعيدا لتلقي أوامرها، بعدها إنضمت جيوش قرطاجية أخرى بقيادة قائد يدعى ماغون إلى
جيش حنبعل³.

¹ Le bohec, Y., 1996, p. 248.

² Jean, P., 1962, *Annibal*, France, p. 386. Tite-Live, XXX, 20, 7-8.

³ Babelon, E., 1896, p. 40.



خريطة رقم(9) تبين عبور حنبل من إيطاليا إلى إفريقيا و منطقة زاما.

Le glay, M., Le Bohecc, Y., Lois voisin, J., 2008, p.86.

5-معركة زاما 202ق.م

لقد نظم الرومان موكبين من السفن لتموين الجيوش في إفريقيا، أحدهما تحت قيادة البريطانيور بوبليوس كرنيليوس لنتولوس (Poblius Cornélius Lentulus) و المتكون من مئة سفينة نقل محملة بالمؤن وعشرين سفينة حربية و كانت منطلقة من سردينيا (Sardaigne)، أما الموكب الآخر بقيادة البريطانيور السابق كنايوس أوكتافيوس (Cnaeus Octavius) و يضم مئتين سفينة للنقل و ثلاثين قاذف يحرسها و كان هذا الموكب منطلقا من صقليا¹، و لقد تعرض هذا الأخير لعاصفة في عرض البحر أمام السواحل الإفريقية، ما أجبره بعض السفن على التوقف في جزيرة زيمبر الصغيرة أو جزيرة إجمور (Egimure) بمدخل خليج قرطاجة، و لما رأى السكان ذلك إجتمع مجلس قرطاجة بضغط من السكان الذين يشكون قلة الإمدادات، فتقرر الإستيلاء على هذه السفن و جرها حتى ميناء قرطاجة².

أسباب المعركة:

لما علم سكيبيون بهذا الأمر، أرسل إلى قرطاجة وفدا يضم ثلاثة أعضاء و هم لوكيوس سرجيوس (Lucius Sergius) ولوكيوس بابيوس (Lucius Baebius) ولوكيوس فابيوس (Lucius Fabius) للإعترض على ما قام به القرطاجيين و المطالبة بالتعويض³، لكن القرطاجيين رفضوا ذلك خاصة بعد الغضب الذي سببه أحد المبعوثين الرومان حين قال بأن حنبعل غادر إيطاليا منهزما و سيهزم من جديد، لذلك عندما غادر أعضاء الوفد الروماني قرطاجة على ظهر سفينتهم، هاجمتهم ثلاث سفن قرطاجية أخرى و قتلوا العديد من الرومان كما جرح بعضهم رغم تمكن المبعوثين من النجاة⁴.

بعد هذا الهجوم ترك سكيبيون القائد بابيوس (Baebius) أحد المبعوثين إلى قرطاجة لحراسة المعسكر الروماني، و أعطى الحرية للمبعوثين القرطاجيين الذين رجعوا من روما

¹ Tite-Live,XXX,24,5-6.

² Brizzi,G.,2007,p.243.

³ Polybe,XV,1,1.

⁴ Diodore de Sicile,XXVII.

بعد المصادقة على شروط الهدنة، و ذلك راجع إلى عدم تحمل هؤلاء عملية الهجوم التي تعرض له المبعوثون الرومان¹، أما هو فخرج ينهب التجمعات السكانية و يخضع السكان الذين يحولهم إلى عبيد، ثم أرسل مبعوثين إلى ماسينيسا يطلب منه حشد عدد كبير من الجيوش و الإنضمام إليه في أسرع وقت².

لما رأى مجلس الشيوخ القرطاجي ذلك التخريب الذي يقوم به سكيبيون، أمروا حنبعل بالزحف على الرومان حتى يتمكن من وضع حد لهذه الأعمال، لكن طلبهم قُبل بالرفض و ربما ذلك راجع لعدم الإنتهاء من إستعداداته و لم يتخذ الإجراءات اللازمة و الضرورية للهجوم على سكيبيون، كما أنه أرسل موفدين إلى أحد أقرباء سفاكس يدعى توخايوس (Tychaïos) ليزوده بالفرسان، هذا الأخير الذي لم يمتنع عن ذلك حيث أرسل لحنبعل ألفين فارس³.

بعد بضعة أيام غادر حنبعل حصرموت (Hadrumète) و أقام معسكره قرب زاما (Zama)⁴، التي تقع ربما على بعد مئة وخمسين كلم عن قرطاجة، و من زاما أرسل حنبعل مبعوثين إلى سكيبيون ليعرض عليه اللقاء الذي قبله القائد الروماني، لكن بعد إلحاق ماسينيسا بسكيبيون و معه عشرة آلاف نوميدي بينهم أربعة آلاف فارس، بدى على القائد الروماني أنه يريد الحرب أكثر من التفاوض⁵، لذا تمركز بالقرب من مدينة مركرون (Margrone) أين يوجد الماء⁶.

خلال تلك المفاوضات طلب حنبعل من سكيبيون أن تحتفظ قرطاجة بأسطولها البحري، من أجل حفظ مكانة قرطاجة التي تتطابق مع السياسة المستمرة للأسرة البرقية، لكن هذه المفاوضات لم تسفر عن شيء لذلك تقرر خوض المعركة⁷.

¹ Lancel, S., 1995, p. 277.

² Polybe, XV, 1, 4.

³ Brizzi, G., 2007, p. 246.

⁴ Picard, G-C., p. 204.

⁵ Lancel, S., 1995, p. 279.

⁶ قزال، س.، 2007، ص. 220.

⁷ Tite-Live, XXX, 30., XXX, 31.

أحداث المعركة:

بعد ذلك إلتقى الجيشان في زاما(أنظر الخريطة رقم9،ص.94.)، حيث ضم جيش حنبعل حوالي خمسين ألف رجل و ثمنين فيلاً¹، يوجد في هذا الجيش إثنا عشر ألف من المرتزقة، الليغوريين، الغاليين، البلياريين و الموريين الذين جندهم ماقون بين عام 206 و203ق.م، أما مشاته فكان بينهم القرطاجيين و الليبيين الخاضعين لقرطاجة و قسم جندهم هسدر بعل بن جسكون و بعض الجنود الذين عادو مع حنبعل من إيطاليا و الإسبانيين، و لقد رتبهم حنبعل كما يلي: الفيلة في الخط الأمامي، خلفهم يوجد المرتزقة، ثم وضع الليبيين و القرطاجيين وراء المرتزقة، و في الأخير الجنود الذين رجعوا معه من إيطاليا، أما على الأجنحة فوضع الفرسان النوميديين على الجناح الأيسر و الفرسان القرطاجيين على الجناح الأيمن².

أما سكيبيون فلقد رتب جيشه كما يلي: وضع المشاة على ثلاثة صفوف:الأوائل رماة الرماح خلفها المثاني ثم المثالث، أما الفرسان أعطى لهم سكيبيون مهمة مزدوجة و هي الهجوم على أجنحة القرطاجيين و القضاء عليهم في عين المكان أو مطاردة و متباعدة الفارين من القرطاجيين حتى لا يتمكنوا من العودة للمعركة ، ثم الرجوع و القضاء على جوانب المشاة و مؤخرته، و لقد تولى لايلىوس قيادة الجناح الأيسر المتكوّن من الفرسان الإيطاليين، بينما تولى ماسينيسا قيادة الجناح الأيمن مع الفرسان النوميديين³.

إن مجيء ماسينيسا مع جيشه المقدّر بستة آلاف من المشاة و أربعة آلاف فارس سيساهم في إحراز سكيبيون للنصر⁴، و كذلك داكماس(Dacamas) الملك النوميدي الذي أرسل ستة مئة فارس للرومان، كل هذه الجيوش إنضمت للجيش الروماني الذي يضم ثلاثة وعشرين ألف من المشاة و ألف و خمسمائة فارس، و هنا نلاحظ أن هذا العدد قليل مقارنة بجيش حنبعل لكن القوة الضاربة تكمن في الفرسان الذين يتفوق فيهم الرومان⁵.

¹ Le Bohec,Y.,1996,p.250.

² Polybe,XV,1,11.

³ Polybe,XV,1,9.

⁴ مختار،م. 1985، تاريخ إفريقيا العام،المجلد 2،حضارات إفريقيا القديمة،باريس،ص.470.

⁵ قزال،س. 2007،ص.227.

بدأت المعركة بإطلاق ضجيج الأبواق الذي أخاف الفيلة و جعلها تتراجع إلى الوراء و تقضي على بعض الفرسان النوميديين المكوّنين للجناح الأيسر لحنبعل فبالتالي تفيد سكيبيون أكثر من حنبعل¹، أمام هذه الفوضى إنتهز ماسينييسا الفرصة الموجودة على الجناح الأيمن و إنقضى على الفرسان القرطاجيين²، الذين يقودهم فرمينيا (Vermina) ابن سفاكس*، ما أجبر العديد من القرطاجيين على الفرار، بعدها قام فرسان ماسينييسا مع فرسان لايوس بمطاردة الفارين³.

أما المشاة فلقد إصطدموا وجها لوجه، حيث إشتبك المرتزقة مع رماة الرماح غير أن هؤلاء بقيو في مواقعهم بفضل نظامهم الحسن و تفوقهم في السلاح، خاصة بعد مساندتهم من قوات المثاني الرومانيين، ما أدى إلى مقتل العديد من المرتزقة و القرطاجيين⁴.

بعد ذلك عاد لايوس و ماسينييسا من عملية المطاردة و إرتموا على مؤخرة الجيش القرطاجي الذي أبيد عدد كبير منه، حيث خسر حنبعل حوالي عشرين ألف قتيل⁵، و لم يخسر سكيبيون إلا ألف وخمسمائة رجل حسب ما يذكره بوليبي الذي يقول أن أغلبية الخسائر تكبدها ماسينييسا⁶.

بعد هذه المعركة عاد سكيبيون إلى معسكره بعدما نهب المعسكر القرطاجي، أما حنبعل فلقد ذهب إلى حضرموت مع بعض الفرسان و أجبر قرطاجة على التفاوض⁷، و يقول بوليبي أن حنبعل عمل كل ما بوسعه بالوسائل التي لديه للدفاع عن قرطاجة ثم يضيف: " لكن هناك أيام يطيب فيها للصدفة أن تعاكس إرادات الرجال"، و هناك أيضا يلتقي فيها كما يقول المثل الرجل القدام برجل آخر أكثر منه إقداما و حنبعل عرف هذا الإختبار، و بالرغم من

¹ Luciani,S.,2002,Regard lucrétiens sur les guerre puniques,France,p.16.

² Ait Amara ,O.,2009,P.65.

* خلافا لما يذكره بوليبيوس بشأن إستيلاء ماسينييسا على مملكة سفاكس بعد القضاء عليه، فإن تيتوس ليفيوس يقول بأن فرمينيا ابن سفاكس ظل يقاتل الرومان و ماسينييسا بعد معركة زاما، كما كان حاكما على بعض مناطق مملكة أبيه،حتى أرسل سفراء إلى روما سنة 200 ق.م ليعرض ولائه لهم،كما إستقبل سفراء روما بمملكته.أنظر:

Tite-Live,XXX,36,7-8 ., XXXI,11,13-18 .

³ Tite-Live,XXX,33,16.

⁴ Polybe,XV,1,13.

⁵ حارث،م،ال.،1984،ص.22.

⁶ Polybe,XV,1,14.

⁷ Tite-Live,XXX,35,1-4.،سليمانى،أ.،1988،ماسينييسا ويوغرطة،الجزائر،ص.37.

التنظيم الذي أقامه حنبعل و إنسجامه و تحديد مهمة كل واحد من جنوده، إلا أن الانتصار برر خطة سكيبيون¹.

إتجه سكيبيون نحو أوتيكا أين وجد أسطول يتكون من خمسين قاذس تحت قيادة البريطانيور الأسبق بوبليوس لنتولوس (Poblius Lintus) الذي يصحب معه مئة سفينة مشحونة بالمؤن، فأجتمعت لسكيبيون جيوش بحرية كبيرة أرسل خلالها القائد لايوليوس إلى روما لإعلان النصر بينما توجه هو مع كنايوس أكتافيوس من ميناء أوتيكا نحو تونس أين أقام معسكره².

-نتائج المعركة:

كان سكيبيون في تونس عندما وصله وفد يتكون من ثلاثين عضوا قرطاجيين يطلبون الصلح الذي قبله سكيبيون، و ربما السبب وراء هذا القبول هو خشية سكيبيون من إنتهاء مدة قيادته للجيش و يفقد بذلك شرف إنهاءه الحرب رغم ثقة مجلس الشيوخ فيه، كما أنه يعرف صعوبة حصار مدينة قرطاجة بسبب قوتها و تحصيناتها، لذا يجب عليه التفاوض لإقامة مدينة أخرى في إفريقيا و يمنع الغير من الإستيلاء عليها³.

لما أعلن سكيبيون قبول التفاوض أخذ في طرح شروطه المتمثلة:

- يحتفظ القرطاجيون بالمدن و الأقاليم الإفريقية التي كانوا يملكونها قبل إعلان الحرب.
- يسلم القرطاجيون كل الأسرى، الفارين و العبيد من الجيش الروماني.
- يسلمون جميع سفنهم الحربية ما عدى عشرة.
- تعطي قرطاجة جميع فيلها و لا يسمح لها بإقتناء هذا الحيوان في ما بعد.
- يدفع القرطاجيين غرامة مالية قدرها عشرة آلاف وزنة أوبية لمدة خمسين سنة.
- تسلم قرطاجة مئة رجل كرهينة لتنفيذ وعودها كما لايتجاوز أعمارهم أربعين سنة أو تحت أربعة عشر سنة⁴.

¹ Polybe,XV,1,16.

² Tite-Live,XXX,36,3.

³ قزال،س،2007،ص.239.

⁴ رمضان،ت،1993،ص.21.

-لا تعلن قرطاجة الحرب في إفريقيا أو خارجها إلا بإذن من روما.
- بالإضافة إلى هذه الشروط هناك شرط آخر وضع قرطاجة تحت رحمة جارتها نوميديا،
و يتمثل في تنازل قرطاجة عن كل أراضي ماسينيسا و كل أراضي أجداده داخل الحدود
التي لم تحدد بعد¹.

نلاحظ من خلال هذه الشروط أن سكيبيون قضى على قوة قرطاجة البحرية في البحر
المتوسط، كما أنها أصبحت تابعة مباشرة لروما فبالتالي تفقد نفوذها و مصالحها في إفريقيا
و خارجها²، و بعد هذا التفاوض عاد المبعوثون إلى قرطاجة و إجتمعوا مع مجلس الشيوخ
الذي مثلهم أمامه، و رغم رفض أحد أعضاء المجلس قبول شروط المعاهدة إلا حنبل
أسكته³.

أما في روما فلقد عارض القنصل كنايوس كورنيليوس لنتوس (Cnaes Cornélius
Lentulus) التصويت لإتخاذ القرار، لكن إثنين من النقباء الشعبيين كونتوس مانسيوس
ترموس (Quintus Minucius Thermus) ومانبيوس أسيليوس قلابريو (Manius
Acilius Glabrio) عرضوا القضية على الشعب، فتقرر قبول الصلح و كُلف سكيبيون
بإبرامه، ثم عين مجلس السناتو عشرة مندوبين لمساعدة سكيبيون في إبرام المعاهدة وفق
الشروط المحددة⁴.

سلمت قرطاجة سفنها الحربية و كل ما أشتراط عليها وفقا لمعاهدة زاما، كما سلمت كل
الأسرى و العبيد و الفارين من الجيش الروماني الذين بلغ عددهم أربعة آلاف أسير، يوجد
بينهم عضو مجلس الشيوخ كونتوس ترنتيوس كوليو (Quintus Tarentius Culleo)
و أمام جميع الشعب أعطى سكيبيون لماسينيسا سرتا و مناطق مملكة سفاكس، بعدها غادر
سكيبيون إفريقيا سنة 201ق.م، متجها إلى روما التي دخلها بإكرام حيث كان الناس

¹ الشريف،م،أ،1993 تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال، ط3، تونس، ص.22.

² رمضان،ت،1993، ص.22.

³ قزال،س،2007، ص.243.

⁴ Tite-Live,XXX,30,7-14.

يزدحمون الطريق التي يمر بها، بعدها سمي بالإفريقي تذكارا لأعماله و نصراته التي رفعته إلى ذوي المجد¹.

6-أثر معركة زاما:

بعد هذه الهزيمة حاول حنبعل إحداث بعض الإصلاحات في قرطاجة و ذلك على حساب الطبقة الأرستقراطية التي تسيطر على الأوضاع، خاصة مجلس القضاة الذين يملكون سلطة مطلقة و أبدية كوّنهم يعينون من طرف مجلس الشيوخ مدى الحياة، لذا طرح عليهم حنبعل قانون ينص على إنتخاب القضاة كل عام²، ما أدى إلى سخط الطبقة الأرستقراطية لكن رغم ذلك لم يتراجع عن قراره، ثم قدم قانون آخر يقضي بإعطاء كل الحسابات المتعلقة بالخزينة العامة القرطاجية بعد معرفته أن الأرستقراطيين يختلسون الأموال و يجبرون الشعب على دفع ضرائب باهضة حتى يتمكنوا من دفع الغرامة الحربية، و لما كانت الطبقة الأرستقراطية غير قادرة على الوقوف أمام نوايا حنبعل أرسلت مبعوثين إلى روما ليقدموا شكوى بدعوة أن حنبعل يهيا لحرب جديدة ضدها، و أنه يخالف بنود معاهدة زاما³.

أرسلت روما إلى قرطاجة وفدا يتكون من كايوس سيرفيليوس (Caius Servilius)، و ماركوس كلاوديوس ماركيلوس (Marcus Claudius Marcelius)، وكونتوس ترانتوس كوليو (Quintus Tarentius Culleo)، و مهمتهم هو النظر في النزاع بين القرطاجيين و الملك ماسينيسا، لكن حنبعل أدرك نوايا الرومان الهادفة إلى القبض عليه لذا حضر نفسه و في اليوم الموالي غادر قرطاجة متجها إلى الملك أنتيوخوس (Antiuche)⁴.

¹قزال،س.،2007،ص.245،

²Mermeix,G-T.,1930,Histoire romaine,Paris,p.278.

³Lancel,S.,1995,p.292.

⁴Justin,XXXI,2,1. Tite-Live,XXXIII,47,7-8.

بعد وصول حنبعل إلى مدينة صور إتجه إلى الملك أنتيوخوس، و ما تردد نبأ وصوله حتى ظهرت رغبة في إستثمار سمعته و تجربته الحربية، لذا دع الملك مجلسه الحربي للإجتماع بعدما كان مترددا بين إعلان الحرب أو لا ضد روما¹.

طلب حنبعل من الملك تزويده بمئة سفينة و عشرة آلاف من المشاة و ألف فارس من أجل الإبحار إلى قرطاجة ثم القيام بحملة على إيطاليا، و في نفس الوقت يوجه أنتيوخوس حملة نحو إيطاليا، لكن تباطأ الملك أنتيوخوس في إستعداداته جعلت حنبعل يفقد الثقة به²، خاصة بعد لقاء هذا الأخير للوفد الروماني الذي يوجد بينهم سكيبيون، و يقال أن سكيبيون سأل حنبعل عن أعظم قائد عرفه في حياته، فأجابه حنبعل بأن القائد الأول هو الإسكندر، الثاني بيروس، أما الثالث فهو نفسه أي حنبعل. ثم سأل سكيبيون: في أي صف تضع نفسك لو هزمتني؟ فأجابه حنبعل: قبل الإسكندر وبيروس وكل القادة العسكريين³.

لقد جعل هذا اللقاء الملك أنتيوخوس يخشى الخيانة من حنبعل لذا قال له هذا الأخير: "أيها الملك، كنتُ صغيرا عندما رافقت والدي هاملكار إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، قبل ذهابه أخذني إلى المعبد ليقدم الأضاحي و هناك أقسمت له أن أكون عدوا لروما مدى الحياة، هذا العهد الذي قدمته لوالدي أمام الألهة إحتفظت به حتى اليوم، و حتى لا أنقض هذا العهد غادرت قرطاجة و جاءت إلى بلدك، إن كنت تشكك في أمالي سأظل مخلصا لعهدي الأول، و سأذهب إلى كل مكان يوجد فيه جنود و أسلحة حتى أثير أعداء للرومان، والدي والألهة شهودا على ما أقوله أيها الملك، و إن كنت تفكر في إقامة السلم مع الرومان، يمكنك أن تنزع عني ثقتك، لكن إن أرادت الحرب فأعلم أن حنبعل هو الأحسن، و الأكثر إخلاصا من مستشاريك"⁴.

بعد هذه الكلمات أعلن أنتيوخوس الحرب ضد روما إلا أن هذا الأخير هزم في معركة ماغنيزيا (Magnésie) و أُجبر على قبول معاهدة الصلح الذي فرض عليه من طرف

¹العسلي، ب.، 1980، ص. 98. أو. Gaid, M., 1990, p. 83.

²Tite-Live, XXXIV, 60, 5.

³Tite-Live, XXXV, 14, 5-10.

⁴Yanoski, J., 1844, p. 102.

الرومان، ما دفع حنبعل لمغادرة مسرح هذه الأحداث و الإلتجاء إلى جزيرة كريت¹، و يلجأ إلى الملك بروسىاس (Prusias) في بثنيا (Bithynia) يقضي ما تبقى من حياته، لكن ما لبث أن إنتحر هناك سنة 183 ق.م²، و بالتالي يغيب الشبح الذي بات كابوسا يهدد روما طوال حياته، ويُحرم سكيبيون من فرصة السير بالقائد القرطاجي في مواكب نصره إلى روما³.

¹ العسلي، ب.، 1980، ص. 102.

² Baker, G.P., 1952, p.297. Justin, XXII, 4, 2.

³ مادلين هورس، م.، 1981، ص. 59.

الخاتمة

لقد توصلنا في نهاية هذا البحث، إلى مجموعة من النتائج التي يمكن إبرازها في النقاط التالية:

1- بعد التوسع في شبه الجزيرة الإيبيرية والسيطرة على مناجم الفضة، أخذت هذه المناجم تموّل قرطاجة، ما مكنها من إعادة بناء إقتصادها من جديد، و دفع الغرامة الحربية التي فرضتها روما عليها خلال الحرب البونية الأولى في فترة زمنية قصيرة مقارنة بالفترة المحددة، ما يفسر عودة قوة قرطاجة في الحوض الغربي للمتوسط، و كذا غنى المناطق التي توسع على حسابها البرقيين في شبه الجزيرة الإيبيرية، الشيء الذي لم تترحم لها روما لذا أخذت تبحث عن ذريعة و سبب لإعادة الصراع ضد قرطاجة.

2- لا يمكن إعتبار حنبعل السبب في قيام الحرب البونية الثانية من خلاله إحتلاله ساغونته، لأننا لا ندري في أي وقت عقدت روما تحالفات و علاقات إقتصادية أو سياسية مع هذه المدينة، وإذا هناك علاقات بينهما قبل معاهدة الإيبيرو، هذا يعني أن هذه العلاقات تلغى بعد تطبيق المعاهدة ما دام لم يذكر إسم مدينة ساغونته أثناء معاهدة الإيبيرو سنة 226ق.م، وإذا هناك علاقات بعد المعاهدة فهنا نرى أن روما هي التي تحرض هذه المدينة ضد القرطاجيين في شبه الجزيرة الإيبيرية.

3- إذا كان إحتلال مدينة ساغونته هو السبب المباشر في إعلان روما الحرب على قرطاجة، فهذا يعني أن روما هي التي تسببت في هذه الحرب لأن هذه المدينة تقع جنوب نهر الإيبيرو، ولم يكن إسمها وارد خلال معاهدة الإيبيرو.

4- نلاحظ أن روما إنتهجت سياسة التوسع بزيادة عدد جنودها في الجيش، بعدما تبينت لها القدرة على التوسع في الحوض الغربي للمتوسط، مع تزايد الخطر القرطاجي الذي أصبح يهددها.

5- يمكن ملاحظة الفرق بين القائدين حنبعل و سكيبيون، حيث كان الأول يمارس عملياته الحربية في إطار الحرية المطلقة بينما كان سكيبيون يتلقى الأوامر من مجلس السناتو.

6- رغم تهديد روما من طرف حنبعل إلا أن هذه الأخيرة ظلت صامدة، بسبب التحضيرات و الإحتياطات الكافية للتصدي لأي هجوم قد يحدث ضدها.

7- نلاحظ أن نجاح أو فشل حنبعل في كسب الحرب مرتبطة به أكثر من مجلس الشيوخ القرطاجي، الذي يرى فيه خطر على قرطاجة أكثر من روما، و يظهر ذلك من خلال التماطل و التباطأ في إرسال المساعدات الحربية التي طلبها حنبعل بعد معركة "كان"(Cannes).

8- لقد ارتكب حنبعل خطأ كلفه غاليا و ذلك منذ الخطوة الأولى التي أعلنت فيها الحرب، هذا الخطأ المتمثل في عدم التصدي لجيش الأخوين سكيبيون قبل عبوره جبال الألب، و إذا كان حنبعل لا يرى في هذا الجيش تهديدا له، أو يعتمد على كفاءة و قدرة أخيه هسدر بعل في شبه الجزيرة الإيبيرية للتصدي لسكيبيون، فهذا خطأ كلف القائد القرطاجي غاليا و يظهر ذلك في:

أ- إستمرار روما في تمويل هذا الجيش رغم تهديدها من طرف حنبعل على أراضيها وخسارتها لعدد كبير من الجيوش خاصة في معركة كان و فقدانها السيطرة على عدة مناطق في إيطاليا، سواء تحالفت مع حنبعل أو سيطر عليها بالقوة.

ب- قدرة سكيبيون السيطرة على قرطاجنة وبالتالي حرمان حنبعل من التمويل و الإمدادات التي كان يعتمد عليها من قاعدته الخلفية في شبه الجزيرة الإيبيرية، و يصبح بعدها في عزلة بسبب قلة موارد الدعم الكافية.

ج- تمكن الرومان من التصدي للدعم الذي كان من المقرر أن يصل به هسدر بعل إلى حنبعل في معركة ميتور، وبالتالي حرمان القائد من المساعدات المنتظرة وربما سبب هذا الإخفاق راجع إلى التصدي الذي تعرض له هسدر بعل من طرف سكيبيون في بايكولا الذي أجبره على تضييع بعض الوقت من جهة، وإعطاء فرصة لروما حتى تتمكن من تجنيد جنود جدد وتهيأ نفسها للحرب مرة أخرى.

9- تحول حنبعل من سياسة الهجوم التي يتبناها دائما، إلى سياسة الدفاع بعد إنتشاره على مساحات واسعة يشبه حاميات مكلفة بالدفاع عن بعض التحصينات، في ظل تقلص عدد الجنود في جيشه الذي لم تصله الإمدادات التي كانت منتظرة و كذا صعوبة تجنيد جنود جدد.

10- نستنتج أيضا أن حنبعل دمر العديد من المدن الإيطالية سواء أثناء توسعه أو إنسحابه، كما تركت أيضا الحرب البونية الثانية أثار عميقة في الأرياف والقرى التي شملتها، سواء في إيطاليا، شبه الجزيرة الإيبيرية وإفريقيا، خاصة الأراضي الزراعية و التجمعات السكانية التي أحرقت أو أهملت من طرف حنبعل أو الرومان، بسبب إشراكها في الحرب ضد الطرف الآخر، وما يدعم ذلك هو ما تعرضت له مدينة كابو من دمار و إنتقام على يد الجيوش الرومانية بعدما كانت خلال الحرب حليفة لحنبعل.

11- يمكن أن نقول أن قوة روما تكمن في عدد جيوشها التي تسمح لها بتحمل الخسائر الثقيلة و لمدة طويلة، و يظهر ذلك أثناء إحصائها لعدد الجنود الذين تجاوزو ثلاثة مئة ألف مقاتل في إيطاليا وحدها.

12 - أظهرت الحرب البونية الثانية مدى حقد العديد من الشعوب الإيطالية على روما بإستثناء شعوب إيطاليا الوسطى، حيث ما لبثت هذه الشعوب أن وجدت قوة مناهضة لروما على الأراضي الإيطالية والمتمثلة في حنبعل، حتى سارعت للانضمام إليه لتتخلص من سيطرة روما، و يظهر ذلك من خلال الغاليين والسامنيين الذين ساهموا بكل ما يملكون من جنود و إمدادات و معلومات لدعم حنبعل، حتى أن بعض هذه الشعوب غادرت إيطاليا مع حنبعل بعد رجوع هذا الأخير إلى قرطاجة و ذلك خوفا من تعرضها للإنتقام على يد الرومان.

13- رغم محاولة حنبعل إعادة بناء قوة قرطاجة بفضل التصدي لنفوذ الطبقة الأرستقراطية، و إقتراح مشاريع إصلاحية إلا أنه لم يتمكن من ذلك، لذلك أُجبر على اللجوء إلى المنفى الذي حاول مرة أخرى إعادة الصراع من جديد ضد روما، لكن قلة

إمكانياته وتهديده من روما ثانية، دفعه للتوجه نحو بثينا لقضاء ما تبقى من حياته، شأنه شأن
سكيبيون الذي إتجه هو الآخر إلى المنفى بعيدا عن روما، ولقد توفي كلا القائدين حنبعل
و سكيبيون في سنة واحدة أي 183ق.م، و بعيدا عن وطنيهما.

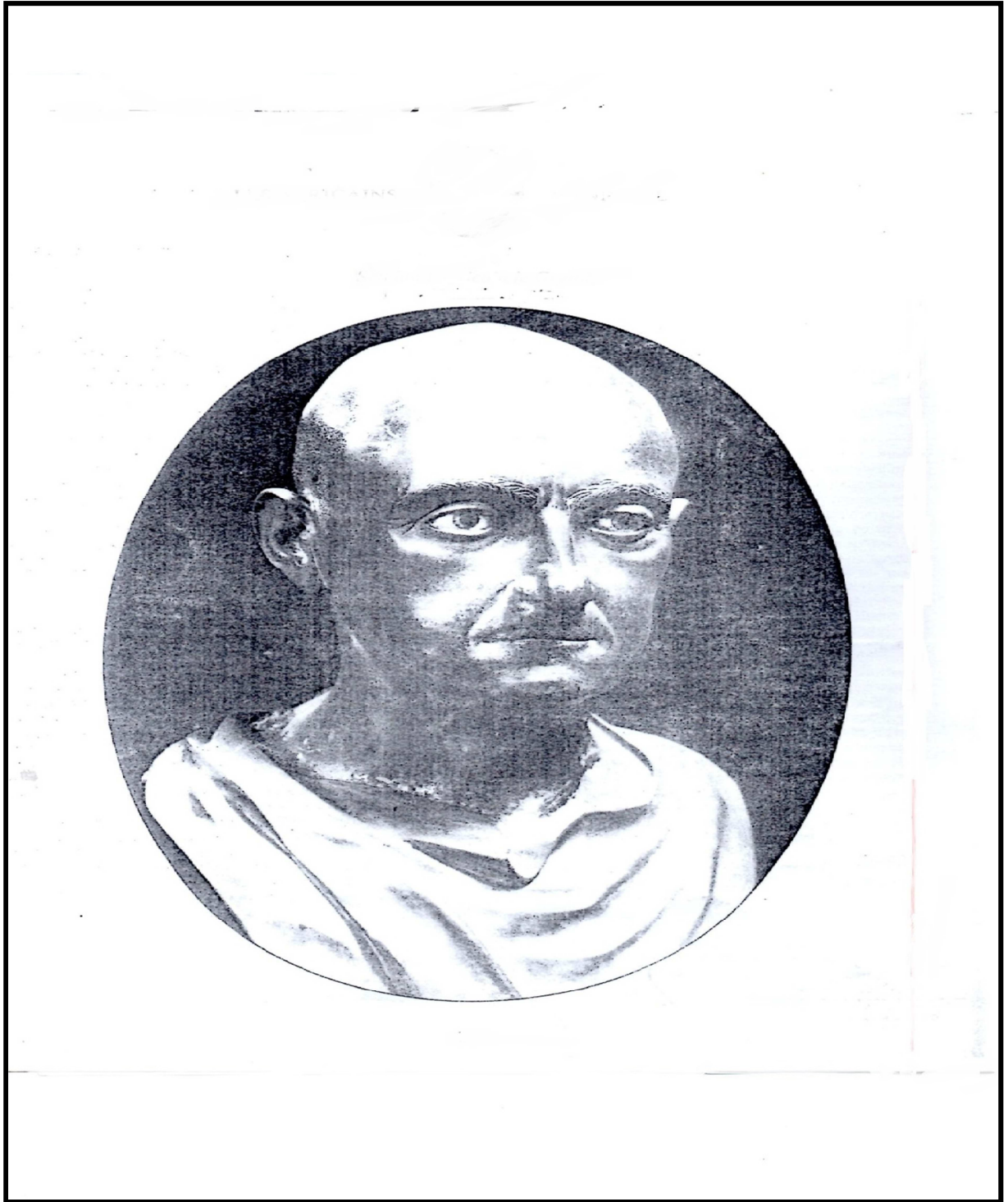
الملاحق

-الصور-



شكل رقم(1):تمثال لحنبل موجود في متحف اللوفر.

Walter,G.,1946,



شكل رقم (6): صورة لسكيبون الإفريقي.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

المصادر الأجنبية:

- 1-Appien,*Ibrique*, trad.Ph.Remacle,Paris,1808.
- 2-Appien,*Hannibalique*,trad.Ph.Remacle,Paris,1808.
- 3-Corneilius Népos,*Vie des grands capitaines*,trad.J.J.Dubochet,Paris,1850.
- 4-Diodore de Sicile,*Bibliothèque universelle*,trad.F.hoefer,2éd,Paris,1865.
- 5-Dion Cassius,*Histoire romaine*,trad.E.Gros,Paris,1848.
- 6-Florus, *Abrégé de l'Histoire romaine*,trad.J.Pierrot,Paris,1865.
- 7-Justin,*Histoire universelle*,trad.J.Pierrot,Paris,1833.
- 8-Pline l' Ancien,*Histoire naturel*,trad.L.Emile,Paris,1850.
- 9-Plutarque,*Vies des hommes illustres*,trad.A.Pierron,T1,Paris,1853.
- 10-Polybe,*Histoire*,trad.D.Roussel,Paris,1970.
- 11-Sextus Aurelius Victor,*Hommes illustres de la ville de Rome*,trad.N.A.Dubois.Paris,1846.
- 12-Silius Italicus,*Les guerres puniques*,trad.D.Nisard,Paris,S,D.
- 13-Strabon, *Géographie de Strabon*,trad.A.tardieu,Paris,1867.
- 14-Tite-Live,*Histoire romaine*,trad.D.De clerq,Paris,2001.

الببليوغرافية

أ- العربية

- 1- إبراهيم، ر، ال، أ.، 1996، *التاريخ الروماني*، لبنان.
- 2- الملي، م.، 1946، *تاريخ الجزائر في القديم والحديث*، ج1، لبنان.
- 3- السعدني، م، ا.، 1998، *حضارة الرومان منذ نشأة روما حتى نهاية القرن الأول ميلادي*، ط1، القاهرة.
- 4- الشريف، م، أ.، 1993، *تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال*، ط3، تونس.
- 5- الصفدي، هـ.، 1967، *تاريخ الرومان*، ج1، بيروت.
- 6- العسلي، ب.، 1980، *هانيبال القرطاجي*، بيروت.
- 7- الكاتب، س، أ.، 2005، *أطلس التاريخ القديم*، ط2، بيروت.
- 8- الناطوري، ر.، 1981، *تاريخ المغرب الكبير*، بيروت.
- 9- أندري، إ.، *روما وإمبراطوريتها*، ترجمة ف. داغر، ف. وأبوريجان، لبنان، 1997.
- 10- بوروين، ش.، 1999، *قرطاجة البونية تاريخ حضارة*، الإسكندرية.
- 11- تسريكين، ي، ب.، *الحضارة الفنية في إسبانيا*، ترجمة أبي الفاضل. ي، ط1، بيروت، 1988.
- 12- حامد قادوس، ع، ز.، 2003، *أثار العالم العربي في العصرين اليوناني والروماني*، الإسكندرية.
- 13- حارش، م، ال.، 1984، *التطور السياسي و الإقتصادي في نوميديا منذ إعتلاء ماسينيسا العرش إلى غاية وفاة يوبا الأول: 203-46 ق.م*، الجزائر.

- 14- حارش، م، ال. 1995، *التاريخ المغربي القديم ، السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي*، الجزائر.
- 15- حارش، م، ال. 2001، *دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب العربي في العصور القديمة*، الجزائر.
- 16- حجازي، ع، ال، ع، أ. 2007، *روما و إفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية إلى عصر الإمبراطور أغسطس*، مصر.
- 17- جوليان، ش، أ.، *تاريخ إفريقيا الشمالية تونس - الجزائر - المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م*، ترجمة م. مزالي، م. بن سلامة، ط 3، تونس، 1969.
- 18- دوكري، ف.، *قرطاجة الحضارة والتاريخ*، ترجمة م. شلب الشام، دمشق، 1994.
- 19- دوركري، ف.، *قرطاجة أو إمبراطورية البحر*، ترجمة ع. أحمد عزو، ط 1، دمشق، 1996.
- 20- سليمان، أ.، 1988، *ماسينيسا ويوغرطة*، الجزائر.
- 21- شنتي، م، أ.، 1982، *سياسة الرومنة من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا (146-46 ق.م)*، الجزائر.
- 22- شوقي، خ، ال.، 1992، *قرطاجة العروية الأولى في المغرب*، لبنان.
- 23- طراد، إن.، 1997، *تاريخ الرومان*، الجيزة.
- 24- عصفور، م، أ، ال.، 1981، *المدن الفينيقية*، بيروت.
- 25- غانم، م، ال.، 1979، *التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط*، رسالة دبلوم الدراسات العليا، الجزائر.

- 26- غانم، م، ال. 1998، *المملكة النوميديّة والحضارة البونية*، ط1، الجزائر.
- 27- قزال، س.، *تاريخ شمال إفريقيا القديم*، ترجمة م، التازي سعود، المغرب، 2007.
- 28- فرحاتي، ف.، 2007، *نوميديا من حكم الملك قايا إلى بداية الإحتلال الروماني 213-46 ق.م*، الجزائر.
- 29- محمد السيد، ع، غ.، 2005، *التاريخ السياسي للجمهورية الرومانية منذ نشأة روما إلى غاية 133 ق.م*، ج1، مصر.
- 30- مختار، ج.، 1985، *تاريخ إفريقيا العام*، المجلد 2، حضارات إفريقيا القديمة، باريس.
- 31- مهران، م، ب.، 1990، *المغرب القديم*، الإسكندرية.
- 32- ميادين، م، ه.، *تاريخ قرطاج*، ترجمة إ. بالش، ط1، بيروت، 1981.
- 33- نصحي، إ.، 2004، *تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى عام 133 ق.م*، ج1، مصر.
- 34- يحي لطف، ع، أ.، 2006، *تاريخ اليونان والرومان*، بيروت.

ب- الأجنبية

- 1-Ait Amara, O., 2009, *Les Soldat d'Hannibal*, France.
- 2-Arnaud-Lindet, M-P., 2001, *Histoire et politique a rome*, Paris.
- 3-Babelot, E., 1896, *Carthage*, Paris.
- 4-Baker, G, P., *Annibal*, 246-183av. j-s, trad. A. Lageix, Paris, 1952.
- 5-Berlin, F., Geny, E., 1999, *Sur les route d'Hannibal, Paysage de companie et d'Apulie*, Paris.
- 6-Berthier, A., 1981, *La numidie, rome et le maghreb*, Paris.

- 7-Bloch,R.,1960,*L'Italie et rome jusqu'au début de la république*, Paris.
- 8-Brisson,J-P.,1973,*Carthage ou Rome*,Paris.
- 9-Brizzi,G.,2007,*Moi Hannibal*,France.
- 10-Camps,G.,1961,*Aux origines de la Bérberie ,Massinissa ou le début de L'histoire*,Algerie.
- 11-Claude,N.,1991,*Rome et la conquete du monde mediterraneen*, T2,Paris.
- 12-Combet Féroux,B.,1960,*Les guerres puniques*,Paris.
- 13-De la Malle,D.,1844,*Afrique ancienne ,Carthage,Numidie et Mauritanie*,T2.Paris.
- 14-Duruy,V.,1855,*Histoire romaine jusqu'à l' invasion des barbares*,Paris.
- 15-Ernest ,M.,1888,*Histoire de l'Afrique septentrional (Bérberie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête, française (1830)*,Paris
- 16-Ferrero,G.,*Grandeure et décadence de rome*,T1,trad.M.Urbain, Paris. 1918.
- 17-Jean,P.,1962,*Annibal*,France.
- 18-Jullian,C.,1920,*Histoire de la Gaule*,Paris .
- 19-Julien,C-A.,Marcu,M.,1990,*Les Africain*,T3,Paris
- 20-Hennebert,E.,1891,*Histoire d'Hannibal*,T2,Paris.

- 21-Heurgot,J.,1969,*Rome et méditerranée occidentale jusqu'au guerres puniques*,Paris.
- 22-Gaid,M.,1990,*Les berbères dans l'histoire,de la préhistoire a la kahina*,T1,Alger.
- 23-Grimal,P.,1953,*Le siecle des scipions.Rome et l'hellénisme au temps des guerres puniques*,Paris.
- 24-Gsell,S.,1921,*Histoire ancienne de l'Afrique du nord*,T3, Paris.
- 25-Lancel,S.,1995,*Hannibal*,Paris.
- 26-Lancel,S.,1992,*Carthage*,France.
- 27-Le Bohec,Y.,1996,*Histoire Militaire Des Guerres Puniquees,246-146 av,j-c*,France.
- 28-Le glay,M.,Le bohec,Y.,Voisin,L.,2008,*Histoire romaine*,Paris .
- 29-Le peyre,G-G.,Pellegrin,A.,1942,*Carthage punnique,814-146 avant j-c*,Paris.
- 30-Mermeix,G-T.,1930,*Histoire romaine*,Paris.
- 31-Meuleau,M.,1965,*Le monde et son histoire:le monde antique*,T2, Paris.
- 32-Mommsen,T.,*Histoire Romaine*,trad.C.A.Alexandre,1865, T3,Paris.1865.
- 33-Monique ,J-H.,2006,*Les rois numides et la conquête de l'afrique du nord par les romaines*,Paris.
- 34-Pais,E.,1940,*Histoire Romaine,des origine a l'achèvement de la conquête 133av j-c*,T1,Paris.

- 35-Picard,G-C.,1956,*Le monde de carthage*,Paris.
- 36-Picard,G-C.,1958,*La vie quotidienne a carthage au temps d'Hannibal,III siecle avant j-s*,Paris.
- 37-Picard,G-C.,1967,*Hannibal*,Paris.
- 38-Picard,G-C.,Picard,C.,1970,*Vie et mort de carthage*, France.
- 39-Piganiol,A.,1939,*Histoire romaine*,Paris.
- 40-Saumagna,Ch.,1966,*La numidie et rome, massinissa et jugurtha*, Paris.
- 41-Segur,L-P.,1848,*Histoire romaine depuis la fondation de rome jusqu'à la fin de règne de constantine*,Paris.
- 42-Soren,D.,Ben abd ben khader,A.,Slim,H.,1994, *Carthage, splendeur et décadence d'une civilisation*,Paris.
- 43-Talbot,E.,1875 ,*Histoire romaine*,Paris.
- 44-Walter,G.,1947,*La destruction de carthage, 264-146 avant j-c*, Paris.
- 45-Yanoski,J.,1844,*Esquisse Générale de l'Afrique et Afrique Ancienne: Carthage, Numidie, Mauritanie*,T2,Paris.

ج-الدوريات:

العربية:

حارش م،ال.،1992،*حملة حنبعل على إيطاليا*، مجلة الدراسات التاريخية، العدد6، الجزائر.

رمضان، ت.، 1993، *معاهدة زاما 201 ق.م*، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 7، الجزائر.
شنتي، م، ال.، *قضية السيادة النوميديّة من خلال المصادر القديمة*، مجلة الدراسات
التاريخية، العدد 5، 1988.

ثابت، هـ.، 2008-8-23، *جمهورية قرطاج أولا*، العرب الأسبوعي، تونس.

الأجنبية:

Luciani, S., 2002, *Regard lucrétiens sur les guerre puniques*, France.

Pias, E., 1925, *Leçons sur les guerres puniques*, Revue Africaine,
v66, Alger.

د-قائمة الرسائل و الأطروحات:

غانم، م، ال.، 1979، *التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط*، رسالة دبلوم الدراسات العليا
في التاريخ القديم، الجزائر.

نور الدين، ك.، 2012، *سياسة آل برقة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط منذ
نهاية الحرب البونية الأولى إلى غاية موت حنبعل*، مذكرة ماجستير، الجزائر.
مليزي، ر.، 2011، *قرطاجة والبحر: 146-814 ق.م*، مذكرة الماجستير، الجزائر.

هـ-القواميس:

Dictionnaire Hachette, 2009, Paris.

الفهارس

فهرس الأعلام:

-فهرس الأشخاص:

-أ-

-أبيليكس:64.

-أبيوس كلاوديوس:55.

-إديكون:19،73.

-أرخميدس:58.

-الإسكندر:104.

-ألوسيوس:72.

-أنتوخوس:104،105.

-أندبليس:19،72.

-أوتاريت:9،10.

-ب-

بروسياس:106.

بطليموس الثاني:3.

بليميوس:85.

بوبليوس كورنليوس سكيبيون (الأب):25،36،37،38،39،44،63،64،65،66،67.

بوبليوس كورنليوس سكيبيون (الإفريقي):25،28،30،68،69،70،71،73،79،81،
85،86،87،88،89،90،91،93،95،96،98،99،100،101،102،103،105،106،

بوبليوس كورنليوس لنتوس:98،102.

بوستار:64.

بوستيميوس:54،67.

بوستيميوس ألبينوس: 47.

بوليب: 6، 19، 21، 26، 53، 80، 101.

بومبيوس: 67.

بوملكار: 58.

بيروس: 105.

-ت-

تيبيريوس سمبرونيوس جراكوس: 12.

تيبيريوس سمبرونيوس لونغوس: 25، 36، 39، 40، 41، 44.

توخايوس: 99.

تيت ليف: 21، 23، 34، 40، 53، 54، 87.

تيودور مومسن: 24.

-ج-

جسكون: 3، 5، 6، 9، 12.

جوبتر: 34.

جونيو سيلانوس: 79، 80.

جيروم كاركوينو: 18.

-ح-

حملكون: 58.

حنبل: 11، 12.

حنبل برقة: 14، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 34، 35، 36،
37، 38، 39، 40، 41، 42، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 63، 65،
76، 81، 89، 91، 95، 96، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 106.

حنون ابن هاملكار: 88.

حنون: 35، 37، 50.

حنون الكبير: 3، 4، 5، 7، 11، 12، 22.

-د-

داكماس: 100.

-ز-

زارزاس: 10.

-س-

سبانديوس: 6، 8، 9، 10، 11.

ستاتورئوس: 66.

ستيفان قزال: 29.

سرفليوس جمينوس: 41، 42، 47.

سفاكس: 66، 88، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 99، 101، 103.

سوفونيسبة: 86، 90، 92.

-ف-

فابيوس كوينتوس: 21، 22، 85.

فاليريوس لافنيوس: 57.

فرانسوا دوكري: 38.

فرمينا: 101.

فليب المقدوني: 57.

فيسماروس: 66.

-ق-

قايأ: 74.

-ك-

كايوس تارنتوس فارون: 25، 47، 49، 50، 51.

كايوس سنتيوس: 42.

كايوس سير فيليوس: 50، 51، 53.

كايوس فلامنيوس: 25، 34، 41، 42، 44.

كايوس كورنليوس سكيبيون: 37، 62، 63.

كايوس لسينوس: 21.

كلاوديوس ماركلوس: 56.

كلاوديوس نيرون: 55، 67، 76.

كنايوس أوكتافيوس: 98، 102.

كنايوس كورنليوس لنتوس: 102، 103.

كونتوس بابيوس: 21.

كونتوس ترانتوس كوليو: 103، 104.

كونتوس فاييوس ماكسيموس: 21، 25، 44، 45، 46، 47، 56.

كونتوس فولفيوس فلاكوس: 55.

كونتوس كريسبوس: 56.

كونتوس مانسيوس ترموس: 103.

كوليشا: 79.

-ل-

لايليوس: 69، 72، 73، 85، 86، 87، 90، 92، 100، 101، 102.

لفيوس سليناطور: 76.

لوکیوس: 69، 87.

لوکیوس اُتیلوس: 50، 51.

لوکیوس اِملیوس بولوس: 21، 25، 47، 48، 50، 51، 53.

لوکیوس بابیوس: 98.

لوکیوس سر جیوس: 98.

لوکیوس فابیوس: 98.

لوکیوس فریوس بیباکلوس: 53.

-م-

ماتوس: 6، 8، 9، 11، 12.

مارسلوس: 67.

مارکوس جونیوس سیلانوس: 69.

مارکوس سبتوس: 80.

مارکوس کلاودیوس مارکلوس: 58، 104.

مارکوس لیفیوس: 21.

مارکوس مانسیوس: 46، 53.

ماریوس بورکیوس کاتو: 87.

ماسیفا: 74.

ماسینیسا: 28، 69، 74، 79، 86، 87، 90، 91، 92، 93، 99، 100، 101، 103، 104.

ماقون: 71، 96.

ماقون برقة: 14، 29، 40، 50، 56، 65، 66، 69، 89، 95، 100.

مانیوس أسیلیوس قلابوریو: 103.

مندوریوس: 72.

منايسبتيوس:66.

مهر بعل:53.

موتين:58.

-ن-

نار افاس:9،10،11.

-ه-

هاملكار:3،5،7،8،9،10،11،12،13،14،15،17،20،23،105.

هسدر بعل:17،18،19،20.

هسدر بعل برقة:14،35،37،63،64،65،66،69،73،75،76،77.

هسدر بعل بن جسكون:67،69،79،86،88،90،91،100.

هيرون:41،57.

هيرونيم:57.

-فهرس الشعوب والقبايل:

-أ-

الأبوليين:54.

الإبيريين:4،18،34،40،50،64،71،73،79.

أل برقة:13،15،19.

أل حنون:13.

الإسبان:26،27،49.

الإغريق:4،24،26،27.

الإفريقيين:6،7،8،9،27،35،79،86.

الإلرجيين:72.

الألكاديين:19.

الإليرييين:34.

الإمليين:21،34.

أهل البليار:4،27،35،100.

الأورسيين:15،17.

-ب-

البستوليون:14.

البرتيون:54.

-ت-

التردليون:14.

-د-

الديتان:14،73.

-ر-

الرومان: 6، 12، 13، 25، 26، 29، 30، 35، 40، 42، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 53، 55،
56، 57، 58، 63، 64، 65، 66، 73، 79، 88، 89، 90، 91، 93، 94، 99، 100، 104، 105.

-س-

السمنيين: 45.

الساغنتيين: 19، 22.

-غ-

الغاليين: 4، 9، 18، 26، 34، 35، 37، 40، 41، 49، 66، 76.

-ف-

الفاكسيين: 19.

الفرننتان: 46.

الفنيقيين: 13.

-ق-

القبائل الإيبيرية: 14.

القبائل الغالية: 37، 40، 47.

القبائل الليغورية: 38.

القرطاجيين: 10، 11، 12، 15، 18، 26، 27، 28، 30، 36، 39، 41، 44، 45، 46، 48، 64، 65،
66، 70، 72، 73، 76، 79، 86، 88، 89، 90، 91، 92، 95، 98، 99، 100، 101، 102.

-ك-

الكلت-إيبيريين: 69، 79.

الكلتيين: 50.

الكمبانيين: 27.

-ل-

الليبيين: 11، 26، 27، 100.

اللبونقيين: 35.

اللوكانيون: 54.

اللوكرانيون: 85.

الليغوريين: 4، 27، 35، 100.

-م-

مجلس السناتو: 12، 21، 34، 41، 44، 47، 48، 58، 63، 64، 103.

مجلس الشيوخ القرطاجي: 10، 12، 19، 22، 24، 56، 91، 95، 98.

مجلس القدماء: 11، 71.

مجلس القضاة: 104.

المرتزة: 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 12، 13، 26، 27، 80، 100، 101.

-ن-

النوميديين: 7، 9، 28، 35، 38، 39، 40، 49، 50، 66، 79، 100، 101.

-ه-

الهربين: 45.

فهرس الأماكن:

-أ-

أبا: 91.

الأمبوريات: 87.

أبوليا: 44، 45، 47، 48.

أثروريا: 41.

الأدرياتيك: 44.

أربي: 55.

أرمنيوم: 39، 40، 41.

إريكس: 3.

أعمدة هرقل: 14، 69.

إفريقيا: 3، 13، 18، 25، 26، 28، 34، 36، 81، 85، 89، 103.

أفريجننت: 58.

ألفروديت: 64.

ألوري: 15.

إليبا: 79.

إليريا: 57.

إليس: 15.

أليكننت: 15، 17.

أمبري: 44، 76.

أندا: 91.

إيطاليا: 3، 25، 28، 29، 35، 56، 57، 58، 64، 65، 66، 89، 95، 98، 100.

أوتیکا: 7، 8، 10، 12، 87، 88، 90، 102.

-ب-

بايكولا: 73، 79.

البافوكنس: 93.

البرتيوم: 55، 57.

البرانييس: 35، 36، 73، 76.

بلاد الغال: 27، 36، 41، 47، 56، 73، 76.

بلاد اليونان: 57.

بليزانس: 39، 40، 76.

بيثينا: 25، 106.

بيزا: 37.

بيكنوم: 44.

-ت-

تارونتة: 41، 56.

ترازيما: 42، 47، 48، 54.

تراكون: 63، 71، 73.

تريبي: 40، 56.

تورس: 56.

تورين: 38.

تونس: 102.

تيسن: 39.

تبيور: 93.

-ج-

جبال الألب: 25، 35، 36، 38، 76.

جزر البليار: 80.

جزيرة إجمور: 98.

جزيرة كريت: 106.

جوليان: 37.

جيرونيوم: 46، 48.

-ح-

حضر موت: 96، 99، 101.

حمور سيبيوم: 15.

-خ-

خليج قابس: 87.

خليج قرطاج: 98.

-ر-

الرأس الطيب: 87.

رأس لاناو: 15.

روما: 4، 12، 13، 14، 15، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 28، 29، 30، 31، 34، 35،
36، 37، 38، 40، 41، 44، 46، 47، 48، 49، 53، 54، 55، 56، 57، 67، 69، 73، 76، 81، 89،
93، 98، 103، 104، 105، 106.

-ز-

زاما: 25، 28، 29، 30، 99، 100، 104.

-س-

ساغوننة: 18، 19، 20، 21، 22، 25، 34، 64، 65.

سراقوسة: 35، 58.

سرتا: 92، 103.

سردينيا: 12، 13، 23، 35، 41، 89، 98.

سلامنقة: 19.

سمنيوم: 45.

سهل البو: 35، 36، 37، 95.

السهول الكبرى: 91.

سيكا: 4.

سياري: 56.

-ش-

شبه الجزيرة الإيبيرية: 13، 14، 15، 17، 18، 19، 21، 23، 28، 29، 31، 34، 36، 37، 38، 45،
56، 59، 63، 64، 65، 66، 69، 71، 81، 85، 89، 95، 96، 105.

-ص-

صقليا: 3، 6، 13، 23، 41، 48، 57، 58، 85، 87، 89، 98.

صور: 105.

-ف-

فج سان برنار الأصغر: 38.

-ق-

قادس: 34، 80.

قرطاجة: 4، 5، 6، 7، 8، 9، 11، 12، 13، 14، 15، 20، 21، 22، 23، 25، 26، 27، 29، 30، 31،
56، 58، 77، 86، 88، 89، 91، 95، 98، 99، 102، 103، 104، 105.

قرطاجنة: 17، 20، 21، 34، 38، 63، 69، 70، 71.

-ك-

كابو: 45، 54، 55، 56.

كاستلو: 79.

كاسترا كورنليا: 88.

كامبانيا: 6، 25، 45، 54، 55، 56.

كان: 25، 29، 48، 53.

كلاسيديوم: 40.

كورسيكا: 13، 23.

كومي: 56.

كونيا: 69.

-ل-

لارنيوم: 46.

لمطة: 96.

لوزيتاني: 69.

لوكري: 46، 48.

لييسا: 25.

ليلبي: 3، 36، 57، 87.

-م-

ماسيليا: 15، 37.

ماغنيزيا: 105.

مسينا:36.

معبد جونون لاسينوس:96.

المقاطعة البونية:11.

مقدونيا:35،57.

موريطانيا:29.

موندا:64،65.

ميثور:75.

ميقابوتتيوم:56.

ميناء لوكري:85.

-ن-

نابولي:56.

نهر الإبيرو:18،19،20،21،22،35،36،37،63،64،67،69،71.

نهر الأفيدوس:48،49.

نهر الإيزر:38.

نهر البو:38،39.

نهر التاج:19،69.

نهر تريبي:40.

نهر الجوكار:14،18.

نهر دورو:19.

نهر الرون:37،63.

نولة:56.

نوميديا الغربية:66.

-ه-

هرقلييا: 56.

هيبو: 7، 9، 10، 12، 85.

-و-

الواد الكبير: 14، 66.

فهرس الخرائط

- خريطة رقم(1):مناطق تواجد الموارد الطبيعية في شبه الجزيرة الإيبيرية،ص.16.
- خريطة رقم(2):موقع معركة تيسن،تريبي و منطقة أمبري،ص.43.
- خريطة رقم(3):ميدان معركة كان،ص.52.
- خريطة رقم(4):أهم المناطق والمواقع في إيطاليا،ص.60.
- خريطة رقم(5):موقع معركة موندا والواد الكبير،ص.68.
- خريطة رقم(6):سيطرة سكيبيون على ساغوننة،قرطاجنة ومعركة بايكولا،ص.75.
- خريطة رقم(7):ميدان معركة ميتور،ص.7.
- خريطة رقم(8):مكان سجن وموت سفاكس،ص.94.
- خريطة رقم(9):عبور حنبعل من إيطاليا إلى إفريقيا و منطقة زاما،ص.97.
- خريطة رقم(10):كل المناطق التي شملتها الحرب البونية الثانية،ص.108.

فهرس المحتوى:

-المختصرات.

-المقدمة.

-الفصل الأول: قرطاجة وحنبل.(1-31)

I- أوضاع قرطاجة قبيل الحرب البونية الثانية:(3-23)

1-الأوضاع الداخلية(ثورة المرتزقة 241-238ق.م). (3-13)

أ-أسباب الثورة. 4-6

ب-مراحل الثورة.6-12

ج-نتائج الثورة.12-13

2-الأوضاع الخارجية:التوسع القرطاجي في شبه الجزيرة الإيبيرية237-218ق.م.(13-13)

أ-هملكار برقة في شبه الجزيرة الإيبيرية سنة 237ق.م. 14-15

ب-هسدر بعل228ق.م.17-18

ج-معاهدة الإبيرو226ق.م.18-19

د-حنبل قائدا للجيش القرطاجية 221ق.م.19

هـاحتلال ساغونتة218ق.م.20-23

II-حنبل وجيشه:(23-31)

1-شخصية حنبل.23-25

2-جيش حنبل:25-26

أ-المشاة.26-27

ب-الفرسان.28

ج-الفيلة.29-30

د-البحرية.30-31

-الفصل الثاني: حملة حنبعل على إيطاليا 218-203 ق.م (32-60)

1-الإستعدادات للحملة على إيطاليا 219-218 ق.م. 36-34

2-بداية الحملة وعبور جبال الألب. 39-36

3-الحرب في إيطاليا: 39-59

أ-معركة تيسن (Tessin) 218 ق.م. 39

ب-معركة تريبي (Trébie) ديسمبر 218 ق.م. 41-40

ج-معركة ترازيمان (Trasimene) جوان 217 ق.م. 47-42

د-معركة كان (Cannes) أوت 216 ق.م. 54-47

-أحداث المعركة. 51-48

-نتائج المعركة. 54-53

هـ-الأوضاع بعد معركة كان: 54-59

-الأوضاع في روما. 55-54

-أوضاع حنبعل. 59-56

-الفصل الثالث: الحرب البونية الثانية في شبه الجزيرة الإيبيرية 217-206 ق.م. (61-82)

1-إجتياز الرومان لنهر الإبيرو 217 ق.م. 65-63

2-معركة موندا 214 ق.م. 66-65

3-تحالف الرومان مع سفاكس 213 ق.م. 66

4- موت الأخوين سكيبيون 211 ق.م. 67

5-بوبليوس كورنيبيوس سكيبيون في شبه الجزيرة الإيبيرية 210 ق.م. 70-69

6-السيطرة على قرطاجنة 209 ق.م. 73-71

7-معركة بايكولا (Baecula) 208 ق.م. 74-73

8- معركة نهر الميتور (Métaure) 208 ق.م. 77-76

9-معركة إلبيا (Ilipa) 206 ق.م. 79-81

-الفصل الرابع: الحرب في إفريقيا 204-202 ق.م. (83-108)

1-حملة سكيبيون على إفريقيا 204 ق.م. 87-89

2-المفاوضات بين سكيبيون والقرطاجيين 89-91

3-معركة السهول الكبرى 203 ق.م. 91-95

أ-أحداث المعركة. 92-93

ب-نتائج المعركة. 95

4-عودة حنبعل إلى إفريقيا. 95-96

5-معركة زاما 202 ق.م. 98-104

-أسباب المعركة. 98-99

-أحداث المعركة. 100-102

-نتائج المعركة. 102-104

6-أثر معركة زاما على حنبعل. 104-106

-الخاتمة. 109-113

-الملاحق. 114-118

-قائمة المصادر والمراجع. 119-127

-الفهارس. 127-148